



روسيا والمسلمون في آسيا الوسطى ومحنة الانفتاح الجديد

١٩٩٠ - ٢٠٠٠ م

الدكتور

محمد عبد المياني

هذا الكتاب لدعم مسلمي الجمهوريات الاسلامية في آسيا الوسطى

Created with

 nitroPDF professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

روسيا والمسلمون
في آسيا الوسطى
ومحنة الانفتاح الجديد
١٩٩٠ - ٢٠٠٠

د . محمد عبده يمانى

Created with

 **nitro**^{PDF} professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional



المحتويات

- المقدمة

- الفصل الأول : دراسة ديموغرافية

- الفصل الثاني : دراسة تاريخية

أ - دخول الإسلام وانتشاره في البلاد حتى نهاية العصر القيصري
ب - المسلمون في ظل الحكم الشيعي حتى عصر الانفتاح

- الفصل الثالث : نتائج التسلط الأجنبي

أ - الإسلام وقضية القومية في الاتحاد السوفيتي
ب - واقع المسلمين في الاتحاد السوفيتي

- الفصل الرابع : التحديات التي تواجه المسلمين

- الفصل الخامس : آفاق التعاون وخطوات العمل المستقبلية

أ - الدراسة الميدانية ونتائجها
ب - الاقتصاد السوفيتي وعلاقته بالاقتصاد الغربي
ج - عدم فاعلية المساعدات الغربية في إصلاح الاقتصاد السوفيتي
د - أبعاد ومجالات التعاون الاقتصادي المشترك وآفاقه المستقبلية

المقدمة

قادم من روسيا ومن الجمهوريات المستقلة . . من بلاد البخارى ومسلم وسبعين مليون مسلم . . من بلاد دخلت إلى الإسلام وشع منها إلى ربوع الدنيا نوره علماً وفقهاً وحديثاً وضبطاً .

ولقد شعرت بسعادة تغمرني أنا وجميع الزملاء ونحن نصافح الأشقاء هناك من جديد وفي وضع النهار بعد أن كنا ندخل متلصصين خائفين مراقبين ومترقبين . . فأصبحنا - والحمد لله - نلقاهم فرحين مستبشرين وهم مرفوعو الرأس . . معزون بإسلامهم . . ومتطلعون إلى مستقبل مشرق . . وكل ما يتطلعون إليه هو تواصل من جانبنا . . وصلة تربطهم بنا . . ومتابعة واعية لأحوالهم ومساهمة صادقة تعينهم وتساعدهم على الخروج من هذا المأزق . . والتخلص من هذه المحنة دون أن يفقدوا هويتهم . . أو يضيع منهم أولادهم في مناهات محنة الانفتاح التي لن يستفيدوا منها إذا لم يكونوا مؤهلين وقادرين وواعين لأبعاد ما يجري . . وقد يصبحون ضحية لهذا الانفتاح . . ويخسرون أكثر مما خسروا ثم يكون وبالاً عليهم . ومن هنا تأتي أهمية التواصل معهم بوعى ومسئولية واحترام وعدم احراج وبدون ضجة إعلامية . . حتى نكون عوناً لهم وليس عليهم . . ولهذا فسوف أحاول هنا بذل جهدي إن شاء الله لإلقاء الضوء على أوضاع الأشقاء المسلمين هناك في الاتحاد السوفييتي في ضوء الانفتاح الجديد . . بعد زيارتنا لهم . . وتلمسنا لأحوالهم فلعلي بذلك أعين من يهتم بأمرهم على اعانتهم .

ولقد كان أول تعرفي بهؤلاء الأشقاء من المسلمين الذين قدموا إلى مكة المكرمة ولجأوا إلى المملكة العربية السعودية واحتضنتهم ورحبت بهم أيام الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه فقد فتح صدره وقلبه لهم وأكرمهم وكرمهم وأحسن وفادتهم ورجبوا في السكن في مكة المكرمة وفي مدينة الطائف ولأنني من سكان مكة المكرمة فقد شاء الله أن التقى بالعديد منهم

من الذين سكنوا في منطقة المسفلة في مكة المكرمة وهذه المنطقة من المناطق التي تكثر فيها المياه والبساتين وجوها معتدل ومناسب بالنسبة لبقية مناطق مكة المكرمة ولعلهم ارتاحوا إلى هذا المكان أكثر من غيره فقد كانت جماعات كثيرة منهم تعيش في المسفلة وفي منطقة أجياد ومنطقة المصافي في أعلى منطقة أجياد وهي مناطق عرفت أيضاً بجوها الطيب وبعض المياه التي كانت في ذلك الوقت تنحدر على شكل شلالات بسيطة ولذلك سميت بالمصافي ومنطقة بئر بليلة والتي تسمى عرفاً عند العامة « بئر بليلة » بدون الهمزة ، ثم منطقة الطائف وقد وفدوا إلى مكة المكرمة أفواجاً كبيرة ومتقطعة وكنا نعرفهم بالجملة بأهل بخارى وعرفوا بمكة بالبخرية وحتى أن شارعاً مهماً عرف بزقاق البخارية في مكة المكرمة لأننا لم نكن نفرق بين القوميات المختلفة فقد كان منهم القشقري وقد كان منهم الطاشقندي وقد كان فيهم التركستاني وقد كان الحاخوقندي وقد كان فيهم المرغلاني ومع ذلك كنا نسمى الجميع بالبخرية وتعارف الناس في مكة على تسمية هؤلاء الأشقاء الذين وفدوا من الاتحاد السوفيتي والذي سميته في كتابي هذا تجاوزاً بروسيا عرفوا بالبخرية وتعارف الناس على أن يسموهم بالمهاجرين من بخارى .

والحقيقة أن ما كان يميز هذه المجموعات أنها مجموعات جاءت هاربة بدينها ومسألة وعلى خلق عظيم في التعامل مع الناس والأمانة وعدم التعرض لأي قضايا سياسية وأى قضايا خلافية مع المجتمع إضافة إلى حبهم للعمل فقد بدأوا من اللحظة الأولى في البحث عن أعمال يكسبون رزقهم منها ولم يلجأوا إلى التسول وغالباً ما يرفضون أى صدقة أو احسان ويطلبون أن يساعدهم الإنسان على إيجاد عمل مناسب فانتشروا وكانت معظم الصناعات التي يقومون بها هي صناعة الخبز الذي عرف في مكة بالتميز ونجح نجاحاً كبيراً وبعض المطاعم التي تخصصت في المأكولات البخارية كما كنا نسميها ثم بعض الصناعات الخفيفة في التطريز وبعض الصناعات المعدنية والجلدية وانتشروا في أنحاء مكة المكرمة من ناحية العمل ولكنهم تركزوا بالنسبة للسكن في هذه المناطق كما ذكرت للملاءمة جوها ولوجود المياه فيها وكذلك لانخفاض تكلفة السكن في هذه المناطق فقد كانت مناطق خارج منطقة لا توجد بها كثافة سكانية على عكس منطقة وسط مكة المكرمة .

وقد عشت مع هؤلاء الناس منذ نعومة أظفاري احتككت بهم وعشت معهم وعرفتهم عن قرب ، وأحسست بتعاطف كبير مع قضاياهم وتربيت مع أبنائهم ولهذا فقد نشأنا نحب هؤلاء الناس ونتمنى أن نرى اليوم الذي تتحرر فيه بلادهم ويعودون إليها بعد كل



● اقبلوا على الإسلام بكل قوة وحماس وأخذوا يدربون
أولادهم الصغار على قراءة القرآن وهذه الصورة نموذج لما
شاهدناه بحضور مجموعة من الرجال الذين يقيمون في المملكة
منذ سنوات طويلة خلال عهد الظلام ، وما أن سقطت
الشيوعية حتى سارعوا بالعودة والمساهمة والعمل الجاد .

ذلك الظلم وبعد كل تلك القسوة التي عانوا منها وخربت فيها بيوتهم وهدمت مساجدهم واعتدى على محارمهم ولهذا فأنى اليوم وأنا أدخل الاتحاد السوفيتي وأتجول في مناطقه أشعر بشعور مختلف ذلك أنى عشت هذه القصة وسمعتها من أكثر من إنسان وعرفت أبعاد تلك الفترة المظلمة التي عاش فيها هؤلاء الناس .

وقد دخلت إلى الاتحاد السوفيتي في ٢٧ صفر ١٤١٢ هـ الموافق ٦ سبتمبر ١٩٩١م أنا ومجموعة من الزملاء الذين قدموا التحسس أحوال اخوتهم المسلمين هناك وكان من ضمن أعضاء الوفد معالي الأخ الدكتور عبدالله عمر نصيف والأخ الأستاذ إبراهيم بكر والأخ الشيخ صالح كامل والدكتور حسن كامل والابن عبدالله صالح كامل واللواء كمال سراج الدين والأخ الأستاذ ماجد الرفاعي والأستاذ منصف القليبي والأستاذ عبدالحميد مالكي والدكتور ناجي ناظر والأخ الدكتور يونس التميمي والأستاذ جمال عفيفي ومحمود يوسف وخالد جزمجي وعماد جميل وقد صحبنا زوجاتنا معنا فكانت السيدة مريم عبدالله كامل زوجتي معي وكذلك السيدة مائدة محيي الدين ناظر زوجة الشيخ صالح كامل والسيدة سوزان تركي زوجة الدكتور ناجي ناظر وقد كان لهن دور مبارك في الاتصال بنساء المسلمين وزيارتهم والتباحث في شئون الأسر المسلمة هناك .

ومنذ اللحظة الأولى التي هبطنا فيها إلى مطار موسكو شعرنا بأن كل شيء قد تغير في هذه البلاد الواسعة التي تتكون من خمس عشرة جمهورية لكل منها دستورها الذي يحدد لها سماتها الخاصة ولها هيئاتها في الحكم وتشكيلاتها العسكرية الخاصة بل ونشيدها الوطني وعلمها وشعارها وعاصمتها وهي تتمتع بحقها في الانفصال عن الاتحاد السوفيتي بمقتضى ما يقرره الدستور رغم خيالية هذه التطبيق وصعوبته ، ولها الحق أيضاً في الدخول في علاقات مباشرة مع الدول الأجنبية وإبرام الاتفاقيات وتبادل التمثيل الدبلوماسي والقنصلي معها أى أنها في داخل أراضيها تستطيع أن تمارس جميع حقوقها وبصورة ما سلطات الدولة المستقلة .

ويبلغ سكان الاتحاد السوفيتي اليوم ما يزيد عن ٢٨٥ مليون نسمة منهم سبعون مليوناً من المسلمين ، ولاشك أن الذي يتجول اليوم في الجمهوريات الإسلامية خاصة يلاحظ بوضوح أن هذه الجمهوريات مؤهلة لأن تلعب دوراً أساسياً ، والناس فيها لديهم حماس شديد للعودة إلى منابع الإسلام الصافية وممارسة حياتهم الإسلامية بصورة طبيعية ولديهم اعتزاز كبير بإسلامهم ولكنهم في نفس الوقت في حاجة للتواصل معهم وخاصة في

مجال تعليم أبنائهم وتربيتهم وهذا مجال حساس إلى درجة كبيرة دون شك ، ثم إن هناك مجال التنمية الاقتصادية وحاجتهم للدعم لأن معظم هذه الجمهوريات الإسلامية لديها إمكانات اقتصادية كبيرة خصوصاً من ناحية المواد الخام وتوفر الرجال الذين يمكن توجيههم إلى العمل ولكنها تحتاج إلى رأس المال الذي يسمح لها بالتحرك وتشغيل اليد العاملة بصورة صحيحة وتدريبها ثم القدرة على التصنيع ومن ثم تسويق هذه المنتجات .

وهؤلاء الناس لديهم رغبة صادقة في الاتصال بالعالم الإسلامي والتواصل مع أشقائهم من المسلمين حتى إنك لتشعر بفرحتهم العظيمة من أول لقاء . . وحدث أن قابلنا لأول مرة رجلاً من رجال العلم ومن المفتين في منطقة (شاشان) . وأخذ يعانقنا بفرحة كبيرة ويتحسنا وكأنه يتحسس أبناءه أو أهله الذين غابوا عنه لسنوات طويلة وراح يضمننا إلى صدره في حنان ، ثم لاحظت أنا وأخي معالي الدكتور عبدالله نصيف ونحن نتجول أن الرجل كان يشيح بوجهه قليلاً عندما يكلمنا وعندما دقت النظر لاحظت أنه يغالب قطرات من الدمع فقلت له أراك حزينا قال لا بل هذه دموع الفرح إنني أبكى فرحاً فهذه المرة الأولى التي تصافح عيني رؤية أشقاء يأتون للسؤال عنا في هذه المنطقة بالذات فالكثير منكم يأتي إلى المناطق القريبة من موسكو وبعض المناطق الخاصة بالمعالم الحضارية وغيرها دون أن يزورنا ، وأنا سعيد جداً بهذا اللقاء وسعيد بأن يراكم أبناءنا ويشاهدوكم ويعرفوا انكم من أرض الحرمين الشريفين من المملكة العربية السعودية خصوصاً بعد أن وصلتنا هداياكم من القرآن الكريم وكان يقصد بطبيعة الحال المصاحف التي وزعت كهدية من خادم الحرمين الشريفين لهؤلاء الناس .

والمحصلة أن هؤلاء يشعرون بسعادة غامرة عندما يلتقون بنا لأنهم يحسون بذلك الترابط الشديد ويعقدون علينا آمالاً كبيرة ويرجون أن نساعدهم ونأخذ بأيديهم ونحرص على التواصل معهم والارتباط بهم من جديد والنظر في متطلبات العمل الإسلامي في الاتحاد السوفييتي حيث كثافة المسلمين وانتشارهم وحاجاتهم الكبيرة إلى مختلف الأنشطة والمؤسسات الإسلامية التي تعرضت لكثير من الظلم ومن التشتيت أثناء تسلط الحكم الشيوعي عليها لمدة طويلة ، ولا بد من دراسة لتنشيط الحركة الدينية وإعانة هؤلاء الناس خاصة وأن إمكانات العمل الإسلامي هناك كبيرة دون شك وقدرته على التطوير سريعة لأن هناك تغيرات هامة تمر بها البلاد ومعظم الجمهوريات الإسلامية لديها قدرات غير عادية من ناحية المواد الخام والأراضي الصالحة للزراعة وغير ذلك من

القدرات الاقتصادية التي هي في حاجة إلى تنمية ، وبعض هذه البلدان كان لها دور بارز في ميدان الحضارة والثقافة الإسلامية ، وقد أثرت على المناطق الإسلامية عمليات الاضطهاد والاجراءات التعسفية التي قامت بها الثورة الشيوعية وعانى منها المسلمون في الاتحاد السوفييتي بسبب تمسكهم بإسلامهم . . . ونظراً لتعدد القوميات واللغات لمسلمي الاتحاد السوفييتي فلا بد من وضع خطة متدرجة لمساعدتهم وأن نأخذ في الاعتبار ضرورة التدرج والاهتمام بالأولويات خصوصاً وانهم يخرجون من ظلمات شديدة إلى النور والسياسة الحالية رغم ما طرأ عليها من تغير وانفتاح إلا أن أشكالها المختلفة وأبعادها ليست محددة بشكل نهائي ، ومن الخطورة الاندفاع دون وعى ودون دراسة .

وهناك الكثير مما يمكن عمله ولكن كما ذكرت فإن قضية الأولويات تبدو مهمة ولا بد من العمل الهادى الرزين البعيد عن الضوضاء وعن الدعايات الإعلامية . . . ومن الضروري أن نعمل في صمت وصدق وصبر وإيمان وأن نعين هؤلاء الناس على الانطلاق من جديد . ومن القضايا التي ينبغي أن تحظى بالأولوية قضية ترميم المساجد وإصلاحها وإعانتهم على إعمارها من جديد وقضايا المنح الدراسية التي يجب توفيرها لأبناء المسلمين هناك والتي تنقسم إلى نوعين ، النوع الأول الذي يختص بضرورة تأهيلهم في مجال الدراسات الإسلامية وتأهيلهم للقيام بتعليم أبنائهم وإعانة الناس على إعادة تعمير المساجد والمدارس وربط الناشئة بالثقافة الإسلامية . . . وتبرز هنا أهمية الكتب الإسلامية التي يجب أن تترجم إلى اللغات المحلية لمسلمي الاتحاد السوفييتي ، وأيضاً ضرورة توفير أعداد كافية من ترجمات القرآن الكريم بالأحرف الروسية وبالترجمات الأزبكية والتتارية القازاخية وغيرها ، والحمد لله أن الهدايا التي أرسلت من المملكة العربية السعودية كان لها أثر كبير وخاصة ترجمة معاني القرآن الكريم . . . كما أن خادم الحرمين الشريفين قد أحسن صنعاً عندما احتضن حجاج الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفييتي ، واستضافتهم المملكة وقدمت لهم خدمات كبيرة أشعرتهم بعمق التلاحم والاخوة الإسلامية . . . ورأيتهم في مكة المكرمة وفي مشاعر الحج في غاية الفرحة والسرور ، ثم إن رابطة العالم الإسلامي ومتابعتها للموضوع ساهمت في تيسير أداء هؤلاء الناس لفريضة الحج ، وعادوا إلى بلادهم سالمين ، وأعطتهم هذه اللقاءات دفعة قوية لمواصلة العمل من أجل دعم النشاط الإسلامي هناك ، ولكن علينا أن ندرك أن الخطوات المقبلة مهمة لكي ندعم الأنشطة الإسلامية المختلفة في الاتحاد السوفييتي ، وتبرز هنا أهمية إرسال أئمة



● فرحة النصر بالعودة إلى حضيرة الإسلام تبدو واضحة على وجوه الأطفال هناك .

ودعاة يختارون بدقة ليتلاءموا مع حياة الناس الاجتماعية والثقافية ويتفهموا ظروف الدعوة هناك ويكونوا على علم بلغات المناطق الإسلامية المختلفة ليقوموا بتدريس المواد الإسلامية واللغة العربية في المعاهد الإسلامية التي فتحت اليوم . . ولاشك أن العديد من المراكز الإسلامية تحتاج إلى الدعم وهذا يقودنا إلى ضرورة وضع خطة دقيقة لتنفيذ هذه المهام والعناية بالمراكز والمعاهد الإسلامية المختلفة والمتشرة في كل هذه الجمهوريات الإسلامية ولدى رابطة العالم الإسلامي من حسن الحظ خطة دقيقة لهذا الأمر لونها أنها وجدت التعاون الكافي من الدول الإسلامية ومن الجماعات الإسلامية وأيضاً من الأمة الإسلامية ومن شبابها وشاباتنا من مختلف الكفاءات والقدرات الذين يجب أن يتدافعوا للعمل إذ إن المادة وحدها لن تستطيع أن تلعب دوراً كافياً لأن الحكومات لا تستطيع بمفردها إجراء التغيير المطلوب بل يجب على أبنائنا أن يتدافعوا لخدمة عملية الدعوة الإسلامية وإعانة هؤلاء الأشقاء في الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي لأن الأمر المطلوب يحتاج إلى همم متكاملة وإلى إدراك للمسئولية ورغبة صادقة في الدعوة والعمل الجاد .

ومن يتجول اليوم في الجمهوريات الإسلامية بالاتحاد السوفيتي يلاحظ أن الناس حريصون كل الحرص على المحافظة على مظاهر الحياة الإسلامية وربط أبنائهم بالإسلام ومعظمهم يشعر بانتسابه إلى الإسلام أكثر من انتسابه للشيوعية والشعور العام الذي يحس به الإنسان هو أن هؤلاء الناس لم ينسلخوا عن إسلامهم رغم كل الاضطهاد ورغم كل الظلم الذي تعرضوا له . . والعائلات المسلمة تجدها متمسكة وحريصة على أن تعلم أبنائها الحد الأدنى من أمور الدين لكي يصوموا ويصلوا ويحافظوا على هويتهم الإسلامية وعاداتهم في الزواج والدفن وتطبيقها في التعامل فيما بينهم وبعض الناس تكون لديه فرص أكبر للتعليم المتكامل وهؤلاء قلة ، وكل هذا يتم رغم الحرب القاسية التي كانت تعلن عليهم وتحارب تمسكهم بإسلامهم وتحرص على التأثير في أبنائهم الصغار ومنعهم من دخول المساجد ولكن هؤلاء القوم ثبتوا وحرصوا على أن يحافظوا على دينهم ويعلموا أبنائهم ما استطاعوا من القرآن الكريم واللغة العربية وبعضهم لا يجيد اللغة العربية محاطبة ولكنه يحفظ القرآن عن ظهر قلب ويحفظ الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة التي قاموا بتدريسها لأبنائهم في زوايا مغلقة وفي مناطق خفية تحت البيوت بصورة سرية وكل ذلك لكي يربطوا أبنائهم بالإسلام لأن الدولة كانت تمنع تدريس الدين



● هؤلاء الشيوخ وامثالهم كانوا من العوامل التي
ساهمت في ربط قلوب الناشئة والصفار بالإسلام ، وكانوا
يدرسونهم في زوايا تحت الأرض ، وبصورة سرية وهذا
الشيخ يزيد عمره عن المائة عام يتحدث في سعادة غامرة لأنه
عاش وراى النور الإسلامى يشع من جديد في ربوع بلاده .



● تجمعوا من كل حدب وصوب ، صغاراً وكباراً للقائنا
والترحيب بنا وشعرنا أن التواصل معهم مسئولية عظيمة
وواجب يحتم ربطهم بالامة الإسلامية

لافساح المجال أمام الحزب الشيوعى لغرس مبادئه المادية الملحدة وتغريب أبناء المسلمين عن الإسلام .

وقد كافحوا وصبروا . . ورابطوا . . وثبتوا حتى أذن الله بالفرج . . وخرجوا من ذلك الظلام الدامس . . والظلم والقسوة إلى نور الحرية . . وإشراق الحياة الطبيعية . . ولكن التحدى الكبير يكمن فى مدى قدرتهم على التعامل مع الانفتاح الجديد . . بكل معطياته وتحدياته وقضيه وقضيضه . . بخيره وشره . . ثم ان عليهم أن يجابهوا هذا الغزو الغربى القادم إليهم عقب الانفتاح . . بكل حملات التبشير والتنصير . . وألوان الغزو الفكرى والتلاحم الثقافى الذى يعتبر فى حد ذاته خطراً داهماً إذا ما تم من جانب واحد . . وهم فى كل هذا يتطلعون نحو إخوانهم المسلمين فى المشرق لعلمهم يعينونهم على الصمود . . ويأخذون بأيديهم للحفاظ على هويتهم وهوية أولادهم . . وتجديد وتوثيق استمرار الصلة بمنابع الإسلام . . والاتصال بالحياة الإسلامية المتكاملة والتربية الإسلامية لأولادهم .

ثم انه من المهم جداً أن يكون هذا التواصل متكاملًا ويشمل جميع الجوانب المادية والمعنوية . . والدينية والأخروية . . ولا بد من التفاتة قوية نحو التواصل الاقتصادى لأهميته وحاجتهم إليه لتنشيط قدراتهم واستعادة مكانتهم بعد الانفتاح .

ولكن تبقى قضية التخطيط والمتابعة مهمة . . والأخذ بالأولويات وأن تكون أعمالنا خالصة لله وصادقة وجادة كما أن الاستمرارية مهمة أيضاً فقليل دائم خير من كثير منقطع . . لأننا فى مرحلة خطيرة وحساسة ودقيقة . . وعامل الزمن مهم جداً . . وقيمة الوقت عالية الثمن . . ولا بد من الوعى والجدية والمسئولية والتخطيط السليم والعمل الفعال والتعاون المثمر .

والله الهادى إلى سواء السبيل . .

محمد عبده يمانى

الفصل الأول

دراسة ديموغرافية عن الاتحاد السوفيتي

لقد صدر العديد من الدراسات المتخصصة عن جغرافية الاتحاد السوفيتي وتقسيماته السياسية وديموغرافية السكان فيه ، ولست هنا بصدد إضافة جديدة إلى ذلك ، وإنما استهدفت تبسيط الدراسة للقارئ غير المتخصص مع تيسيرها له وتكوين صورة عامة عن ملامح البلاد موضوع البحث .

يحتل الاتحاد السوفيتي منطقة شاسعة من أراضي قارتى آسيا وأوروبا تبلغ مساحتها (٢٢, ٤٠٢, ٢٠٠) كيلومتر مربع وهى مساحة تعادل سدس اليابس تقريبا على سطح الأرض . ويؤلف الجزء الآسيوى من أراضي الاتحاد السوفيتي الواقع شمال قارة آسيا غالبية أراضي البلاد ، فى حين يشكل القسم الأوروبى الممتد فى شمال غرب قارة أوروبا القسم الأصغر منها . ويحد الاتحاد السوفيتي من الشمال المحيط المتجمد الشمالى ، وتتبعه معظم الجزر الواقعة على امتداد سواحل على ذلك المحيط ، ومن الجنوب فإنه يحاذي كلاً من تركيا وإيران وأفغانستان ومنغوليا وكوريا الشمالية والجزر اليابانية إضافة إلى سواحل المطلة على القسم الشمالى من بحر قزوين . أما من الشرق فتمتد حدوده مع شاطئ المحيط الهادى وتتبعه العديد من الجزر الواقعة إلى الشمال من اليابان حتى مضيق برنج . ومن الغرب تحده النرويج وفنلندا وبحر البلطيق وبولندا وتشيكوسلوفاكيا وهنغاريا ورومانيا والبحر الأسود .

وقد بلغ عدد سكان الاتحاد السوفيتي حسب آخر الاحصائيات التى جرت عام ١٩٨٩ ما مجموعه (٢٨٥, ٦٦٨, ٩٦٥) نسمة .

وتمتد المناطق الهضبية المعقدة والجبال الوعرة المسالك على امتداد الحدود الجنوبية وتتسع فى الشرق لتشمل مناطق سيبيريا الشرقية وتعتبر جبال البامير التى تمتد شمال إقليم التبت ، وجبال الشيزشان فى تركستان الغربية وجبال القفقاس فى أرمينيا وجبال القاي فى جنوب شرق البلاد وجبال أورال فى الوسط من أهم السلاسل الجبلية فى الاتحاد السوفيتي . أما السهول فأهمها السهل الأوروبى الذى يمتد من وسط أوروبا شرقاً حتى جبال الأورال التى تفصله عن سهل سيبيريا الواسع . إضافة إلى سهول بحر قزوين فى آسيا الوسطى .

ويجربى فى الاتحاد السوفيتي عدد كبير من الأنهار وأهمها أنهار سيبيريا التى تجرى شمالاً وتصب فى المحيط المتجمد الشمالى ومنها أنهار : كوليمه ، يانسي ، أوب ، تونجسكا ، أمور ، أما فى الأقسام الجنوبية الشرقية من البلاد فيجربى نهر أمودريا وسرديا (سيحون وجيحون) أما فى القسم الأوروبى من البلاد فتجربى أنهار عديدة أهمها أنهار الفولفا والدون



● يتعهدون أبناءهم بالتربية الإسلامية ويأخذونهم للمساجد ويجتمعون دائماً لتعميرها وإعادة بنائها والصلاة فيها .

والدنيير ، كما تنتشر البحيرات في أنحاء البلاد وخاصة في القسم الأوروبي وفي جنوب القسم الآسيوي .

أما المناخ فإنه متنوع ويختلف باختلاف الموقع والقرب والبعد عن البحار وباختلاف التأثيرات الجغرافية المؤثرة ، ويكون في القسم الأوروبي شديد البرودة شتاءً معتدلاً صيفاً والتساقط فيه مستديم طوال العام ، أما القسم الآسيوي ففي الشمال يقع تحت تأثير المناخ السائد في الدائرة القطبية الشمالية ويتعرض لعواصف ثلجية عاتية في أغلب أيام الشتاء ، كما أنه بارد ممطر في الصيف . وفي المناطق الداخلية يغلب عليها المناخ القاري حيث يكون قارس البرودة شتاءً ومعتدلاً صيفاً والأمطار متوسطة وشتوية في حين تخضع المناطق المطلة على بحر الخزر وقزوين والبحر الأسود لتأثيرات بحرية مما يلطف مناخها ويؤدي إلى ارتفاع درجات حرارتها النسبية في الصيف ، ويعتبر القسم الآسيوي من المناطق الزراعية . أما منطقة سيبيريا فهي من أغنى المناطق كثافة بالغابات في حين تكون الأقسام الجنوبية الشرقية مناطق رعوية مثالية .

ولعله من المناسب أن نتحدث عن مكونات الاتحاد السوفييتي في الوقت الحاضر والجمهوريات والأقاليم التي تتبع لهذا الاتحاد من ناحية سكانها وأوضاعها ونسبة المسلمين فيها ، ثم نلقى الضوء على الجمهوريات التي شملتها الزيارة ليكون ذلك كمرجع يسهل معه متابعة الأحداث التي أروها أو الموضوعات التي أشير إليها .

أولاً : مكونات الاتحاد السوفييتي :

كان الاتحاد السوفييتي يتكون عند زيارتنا من خمس عشرة جمهورية لكل منها دستورها الذي تبدو فيه سماتها الخاصة ، ولها هيئاتها في الحكم وتشكيلاتها العسكرية الخاصة ونشيدها الوطني وعلمها وشعارها وعاصمتها ، وهي تتمتع بحق الانفصال عن الاتحاد السوفييتي بمقتضى ما يقرره الدستور - رغم صعوبة تطبيق ذلك في الواقع كما أثبتت الأحداث الأخيرة - كما أن لها حق الدخول في علاقات مباشرة مع الدول الأجنبية وإبرام الاتفاقيات وتبادل التمثيل الدبلوماسي والقنصلي معها . أي أنها تمارس في داخل أراضيها بل وخارجها بصورة ما سلطات الدولة المستقلة ، وقد يتبع بعض هذه الجمهوريات جمهوريات أو أقاليم ذات حكم ذاتي .

ويبلغ عدد سكان الاتحاد السوفييتي (٢٨٥, ٦٨٨, ٩٦٥) مليون نسمة (٧٠ مليوناً منهم من المسلمين) ، ومساحته الاجمالية (٢٢) مليون كم^٢ .
وعاصمة الاتحاد السوفييتي مدينة موسكو التي يقطنها (١٠) ملايين نسمة .

١ - جمهورية روسيا الاتحادية :

وهي أكبر الجمهوريات وعاصمتها موسكو ومساحتها الاجمالية (١٠, ٦٠٧, ٨١٤) كم^٢ وعدد سكانها (١٤٣, ٠٩٠, ٠٠٠) نسمة ، وتبلغ نسبة المسلمين فيها بين (١٠ - ٢٥) % من مجموع السكان ، وتقع مدينة لينينجراد التاريخية التي أعلن رسمياً مؤخراً عن إعادة اسمها القديم سانت بطرسبرج ضمن هذه الجمهورية ، ويتبع هذه الجمهورية سبع جمهوريات تقع في حوض الفولجا هي :

جمهورية باشكيريا :

وعاصمتها (أوبا) ومساحتها ١٤٣٦٠٠ كم^٢ وعدد سكانها ٤٣٢٠٠٠٠٠ نسمة تبلغ نسبة المسلمين فيها ٥٦ % .

جمهورية تارستان :

وعاصمتها (قازان) ومساحتها ٦٨٠٠٠ كم^٢ وعدد سكانها ٤٢٥٠٠٠٠٠ نسمة تبلغ نسبة المسلمين فيها ٥٠ % .

جمهورية الجوفاش :

وعاصمتها (شيوخساري) ومساحتها ١٨٣٠٠٠ كم^٢ ويقطنها ١٨٢٩٠٠٠٠ نسمة تبلغ نسبة المسلمين فيها ٥٨ % .

جمهورية موردفيا :

وعاصمتها (شارانسك) ومساحتها ٢٦٢٠٠ كم^٢ ويقطنها ١١٥٠٠٠٠٠ نسمة تبلغ نسبة المسلمين بينهم ٥٥ % .

جمهورية ماري :

وعاصمتها (يوشكار اول) ومساحتها ٢٣٢٠٠ كم^٢ ويسكنها ٩٥٨٠٠٠٠ نسمة وتبلغ نسبة المسلمين فيها إلى مجموع السكان نحو ٥٢٪ .

جمهورية أورنبرغ :

وعاصمتها (الورنبرغ شكالوف) ومساحتها ١١٢٠٠٠ كم^٢ ويقطنها ٢٥٠٠٠٠٠٠ نسمة تبلغ نسبة المسلمين فيها نحو ٥٠٪ .

جمهورية أدمورت :

وعاصمتها (اجنسك) ومساحتها ٤٢١٠٠ كم^٢ ويقطنها ١٨٥٠٠٠٠٠ نسمة وتصل نسبة المسلمين فيها إلى ٥٢٪ من مجموع السكان .
كما يتبع جمهورية روسيا الاتحادية خمس جمهوريات ذات حكم ذاتي وولاية ذات حكم ذاتي تقع جميعها في شمال القفقاس بالاضافة إلى اقليم سيبيريا وذلك على الترتيب الآتي :

جمهورية الداغستان :

وعاصمتها (محج قلعة) ومساحتها ٤٠٣٠٠ كم^٢ وعدد سكانها ٢٣٥٠٠٠٠٠ نسمة وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ٦٠٪ .

جمهورية كبارداي بلكار :

وعاصمتها (نالجيك) ومساحتها ١٢٥٠٠ كم^٢ وعدد سكانها ٧٦٢٠٠٠٠ نسمة تبلغ نسبة المسلمين بينهم ٥٥٪ .

جمهورية قاراشاي شركس :

كانت ولاية ذات حكم ذاتي وأصبحت جمهورية في عام ١٩٩٠ م وعاصمتها (شركسك) ومساحتها ١٤١٠ كم^٢ وعدد سكانها ٤٥٠٠٠٠٠ نسمة وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ٦٠٪ .

جمهورية أوستينا الشمالية :

وعاصمتها (اردجونيكيرزى) ومساحتها ٨٠٠٠ كم^٢ وعدد سكانها ٩١٩٠٠٠ نسمة
وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ٥٥٪ .

جمهورية شاشان أنجوش :

وعاصمتها (كروزنى) ومساحتها ١٩٣٠٠ كم^٢ وعدد سكانها ١٧٣٥٠٠٠ نسمة
وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ٦٦٪ .

ولاية الأديجا :

وعاصمتها (ماى كوب) ومساحتها ٧٦٠٠ كم^٢ وعدد سكانها ٥٤٠٠٠٠٠ نسمة وتبلغ
نسمة المسلمين بينهم ٥٠٪ .

إقليم سيبيريا :

وعاصمتها (اومسك) ومساحته ٢٧٦٥٠٠٠ كم^٢ وعدد سكانه ٢٥٠٠٠٠٠٠٠ نسمة
تبلغ نسمة المسلمين بينهم ٢٥٪ .

٢ - جمهورية روسيا البيضاء :

وعاصمتها (منسك) ومساحتها ١٢٩٠٤٤ كم^٢ وعدد سكانها ٩٩٤٢٠٠٠ نسمة .

٣ - جمهورية أوكرانيا :

عاصمتها (كييف) ومساحتها ٢٣٧٥٠٧٨ كم^٢ وعدد سكانها ٥٠٨٤٠٠٠٠٠ بما فى
ذلك سكان ولاية القرم والتي يقطنها ٧٠٠٠٠٠٠٠ نسمة تبلغ نسبة المسلمين بينهم ٧١٪
وعاصمة هذه الولاية (سنتروبل) .

٤ - جمهورية لاتفيا :

عاصمتها (فيلنوس) ومساحتها ٣٩٧٣٤ كم^٢ وعدد سكانها ٢٦٠٤٠٠٠٠ نسمة .

٥ - جمهورية أستونيا :

عاصمتها (نازلين) ومساحتها ١٥٣٤٠٠٠ كم^٢ وعدد سكانها ١٥٣٠٠٠٠٠ نسمة .

٦ - جمهورية مولدافيا :

عاصمتها (كشيونوف) ومساحتها ٢٠٩٣٦ كم^٢ وعدد سكانها ٤١١١٠٠٠ نسمة
يعيش بينهم ٢٥٠٠٠٠٠ مسلم .

٧ - جمهورية لتوانيا :

عاصمتها (ريجا) ومساحتها ٤٢١١٢ كم^٢ وعدد سكانها ٣٥٩٠٠٠٠٠ نسمة يعيش
بينهم حوالي ١٨٠٠٠٠ مسلم .

٨ - جمهورية أرمينيا :

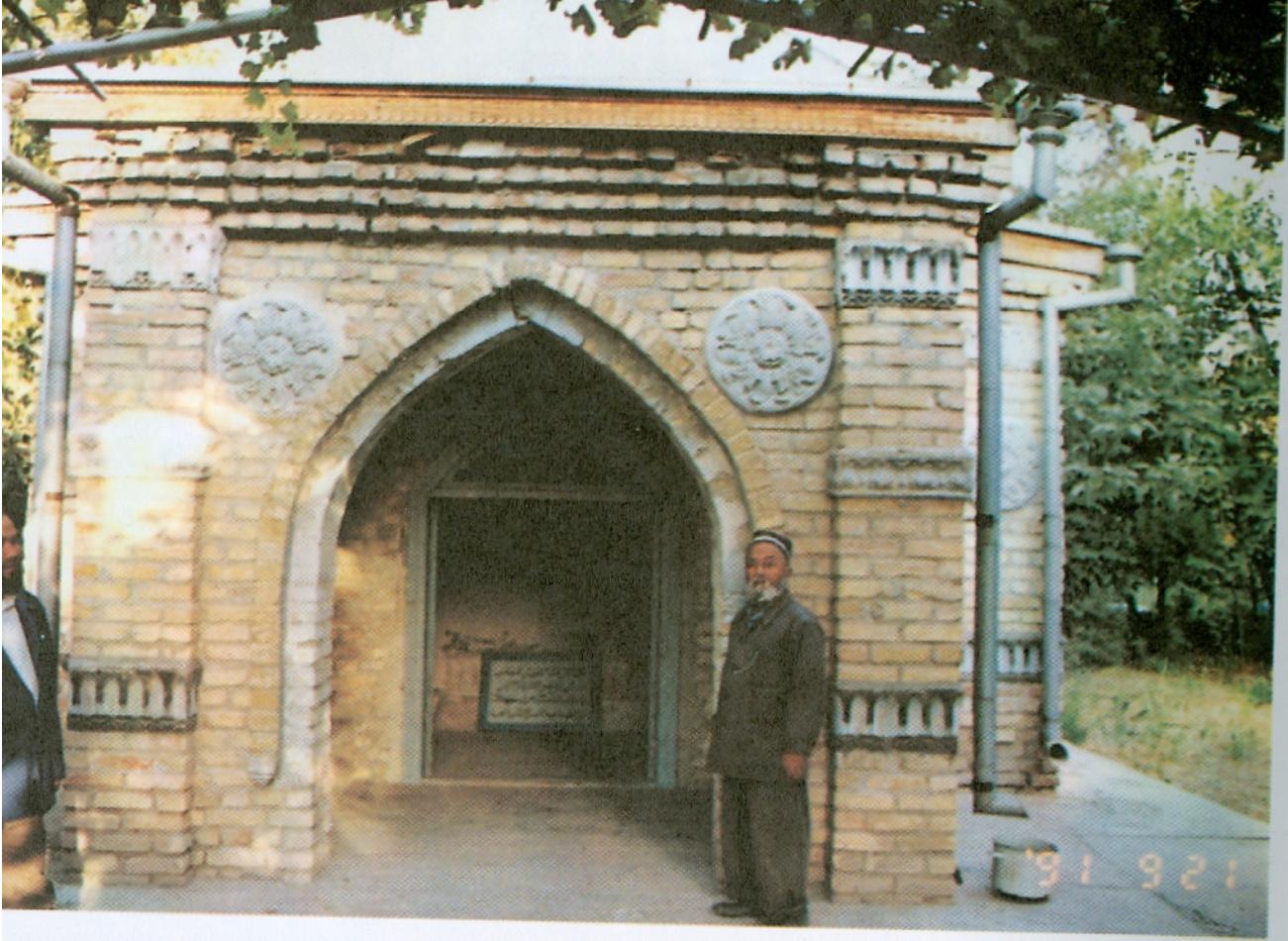
عاصمتها (باريفان) مساحتها ٢٩٨٠٠ كم^٢ وعدد سكانها ٣٣١٧٠٠٠٠ نسمة وتبلغ
نسبة المسلمين بينهم ١٧٪ ، ويتبعها جمهورية (نخجيفان) ذات الحكم الذاتي ومساحتها
٥٥٠٠ كم^٢ وعدد سكانها ٢٩٧٠٠٠٠ نسمة تبلغ نسبة المسلمين فيها ٩٥٪ وعاصمتها
(ناجوان) .

٩ - جمهورية جورجيا :

عاصمتها (تفليس) ومساحتها ٧٠٠٠٠ كم^٢ وعدد سكانها ٣٥٠٠٠٠٠٠ نسمة ،
وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ١٩٪ ، ويتبع هذه الجمهورية كل من :
- جمهورية انجازيا وعاصمتها (سوقوم) ومساحتها ٨٦٠٠ كم^٢ وعدد سكانها ٧٥٠٠٠٠٠
نسمة نسبة المسلمين بينهم ٣٠٪ .
- جمهورية اجاريا وعاصمتها (باطوم) ومساحتها ٣٠٠٠ كم^٢ وعدد سكانها ٤٥٠٠٠٠٠
نسمة ونسبة المسلمين فيها ٤٠٪ .

١٠ - جمهورية أذربيجان :

عاصمتها (باكو) ومساحتها ٨٦٨٠٠ كم^٢ وعدد سكانها ٧٢٧٠٠٠٠٠ نسمة تبلغ نسبة



قبر القائد المسلم قتيبة من مسلم
الباھلي في جمهورية اوزبكستان
ويقع في قرية تسمى شوق لوق
بالقرب من مدينة انديجان .

المسلمين بينهم ٨٢٪ ، وتتبعها مقاطعة (ناغور نوقره باغ) وعاصمتها (ستيفكرت) ومساحتها ٤٤٠٠ كم^٢ وعدد سكانها ٢٧٨٠٠٠٠ نسمة ، نسبة المسلمين بينهم ٣٠٪ .

١١ - جمهورية أوزبكستان :

عاصمتها (طشكند) ومساحتها ٤٤٧٨٠٠ كم^٢ ويقطنها ١٩٨٢٠٠٧٧ نسمة وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ٨٢٪ ، ويتبعها جمهورية ذات حكم ذاتي هي جمهورية (كاراقلبان) وعاصمتها (نوقوس) ومساحتها ١٦٤٩٠٠ كم^٢ وعدد سكانها ١٤٥٠٠٠٠٠ نسمة نسبة المسلمين بها ٨٠٪ .

١٢ - جمهورية طاجيكستان :

عاصمتها (دوشينبه) ومساحتها ١٤٣١٠٠ كم^٢ وعدد سكانها ٥٤٩٠٠٠٠٠ نسمة تبلغ نسبة المسلمين بينهم ٨٠٪ .

١٣ - جمهورية قرغيزستان :

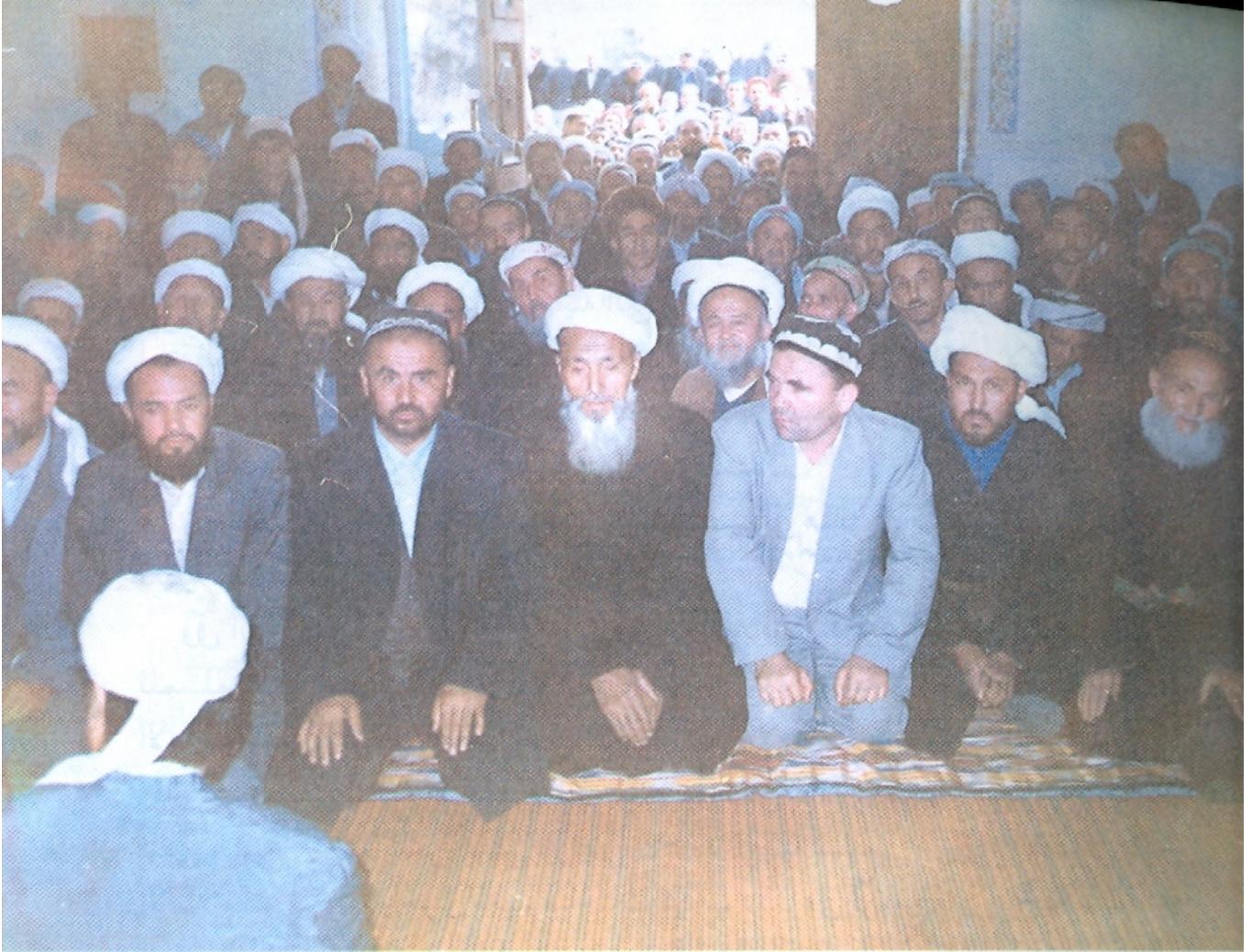
عاصمتها (بتشكيك) (فرونزى) سابقاً ومساحتها ١٨٩٥٠٠ كم^٢ وعدد سكانها ٤٥٩٠٠٠٠٠ نسمة وتبلغ نسبة المسلمين ٧٣٪ ، وتتبعها مقاطعة ذاتية الحكم وهي (غورنو ربخشان) وعاصمتها (خوروغ) ومساحتها ٦٧٣٠٠ كم^٢ وعدد سكانها ١٨٠٠٠٠٠ نسمة وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ٨٥٪ .

١٤ - جمهورية تركمانستان :

عاصمتها (عشق آباد) ومساحتها ٤٨٨١٠٠ كم^٢ وعدد سكانها ٣٧٨٩٠٠٠ نسمة وتبلغ نسبة المسلمين بها ٨٦٪ .

١٥ - جمهورية قازاخستان :

وعاصمتها (المآتا) ومساحتها ٢٧١٧٠٠٠ كم^٢ وعدد سكانها ١٦٧٨٢٠٠٠ نسمة وتبلغ نسبة المسلمين بها ٥٢٪ .



● أصبحوا دائماً يتجمعون للتشاور
ويسارعون لتعمير المساجد بالصلاة .

وقد كانت فرحتهم عظيمة ومشاعرهم نبيلة وحرصهم كبير جداً على التواصل من جديد وكان لدعوة خادم الحرمين الشريفين لمجموعات منهم لأداء مناسك الحج أثر طيب في نفوسهم كما ذكرنا ، وكذلك هديته التي تم توزيعها وهي نسخ القرآن الكريم والتي احتفظوا بها ، وحرصوا على التبرك بالقرآن الكريم ووضعها في منازلهم لاشعار أبنائهم بأهمية هذا الكتاب بالنسبة لهم وربطهم به من جديد خصوصاً بعد أن فتحوا مساجدهم وأخذوا يزاولون شعائرهم من جديد في راحة واطمئنان .

ولقد بدأ الوفد بزيارة العاصمة موسكو ثم انقسم من هناك إلى قسمين حتى يتمكن من تغطية أكبر مساحة ممكنة .

وفي اليوم الأول بعد أن قام الوفد بزيارة مقر العلاقات العامة لشئون الادارات الدينية للمسلمين في موسكو اجتمع بكل من رئيس الادارة الدينية لمسلمي سيبيريا والقسم الأوروبي المفتي الشيخ / طلعت تاج الدين ورئيس الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان المفتي الشيخ / محمد صادق يوسف ورئيس الادارة الدينية لجمهورية داغستان المفتي الشيخ / بهاء الدين عيسى ورئيس الادارة الدينية لمسلمي ما وراء القفقاس شيخ الاسلام الله شكر ، وأجرى معهم مباحثات كما سيرد ذكره في برنامج سير الرحلة ، ثم اتجه الوفد بالطائرة لزيارة كل من الجمهوريات التالية على التوالي :

١ - جمهورية قاراشاي شركس :

وعاصمتها (شركسك) ومساحتها ١٤١٠٠ كم^٢ ويقطنها ٤٥٠٠٠٠ نسمة تبلغ نسبة المسلمين بينهم ٥٧٪ حسب المعلومات التي أدلى بها نائب رئيس البلدية و٦٠٪ حسب ما ورد في بعض المراجع العلمية وفي احصائية ٨٩ الرسمية ، وبالرغم من أن هذه الجمهورية تحمل اسماً شركسياً إلا أن أغلب السكان المسلمين من التتار حيث يبلغ عددهم ١٥٠٠٠٠ نسمة أما الباقيون فيوزعون كما يلي : ٤٠٠٠٠ شركسي ، ١٧٠٠٠٠ روسي ، ٢٧٠٠٠ أباطي ، ١٣٠٠٠ نوغاي .

خضعت هذه المنطقة للروس عام ١٨٧٩ وتأسست كولاية عام ١٩٥٧ ثم أعلنت جمهورية ذات حكم ذاتي عام ١٩٩٠ م .

وهي منطقة جبلية في غالبيتها ، وتنحدر من أراضيها عدة أنهار ترفد نهر (كوبان) ، يتبع هذه الجمهورية مدينة (أوستجقاي) ومدينة (تيريزا) وحوالي ٦٨ قرية يوجد بها مسجد

في قرية « ميرنيه » وسيلحق به مدرسة كما يوجد بها ٨٩ مسجداً تحت الإنشاء والتنفيذ ، وقد تمت زيارة ٤ قرى خلال هذه الجولة احداها قرية (ميرنيه) المشار إليها أعلاه وقرية (جيقوتا الجديدة) وقرية (تبريزارقم ١) وقرية (أوشكيكيش) . يرأس الإدارة الدينية بهذه الجمهورية المفتي اسماعيل بردي ويساعده الامام / اسماعيل شرف الدين .

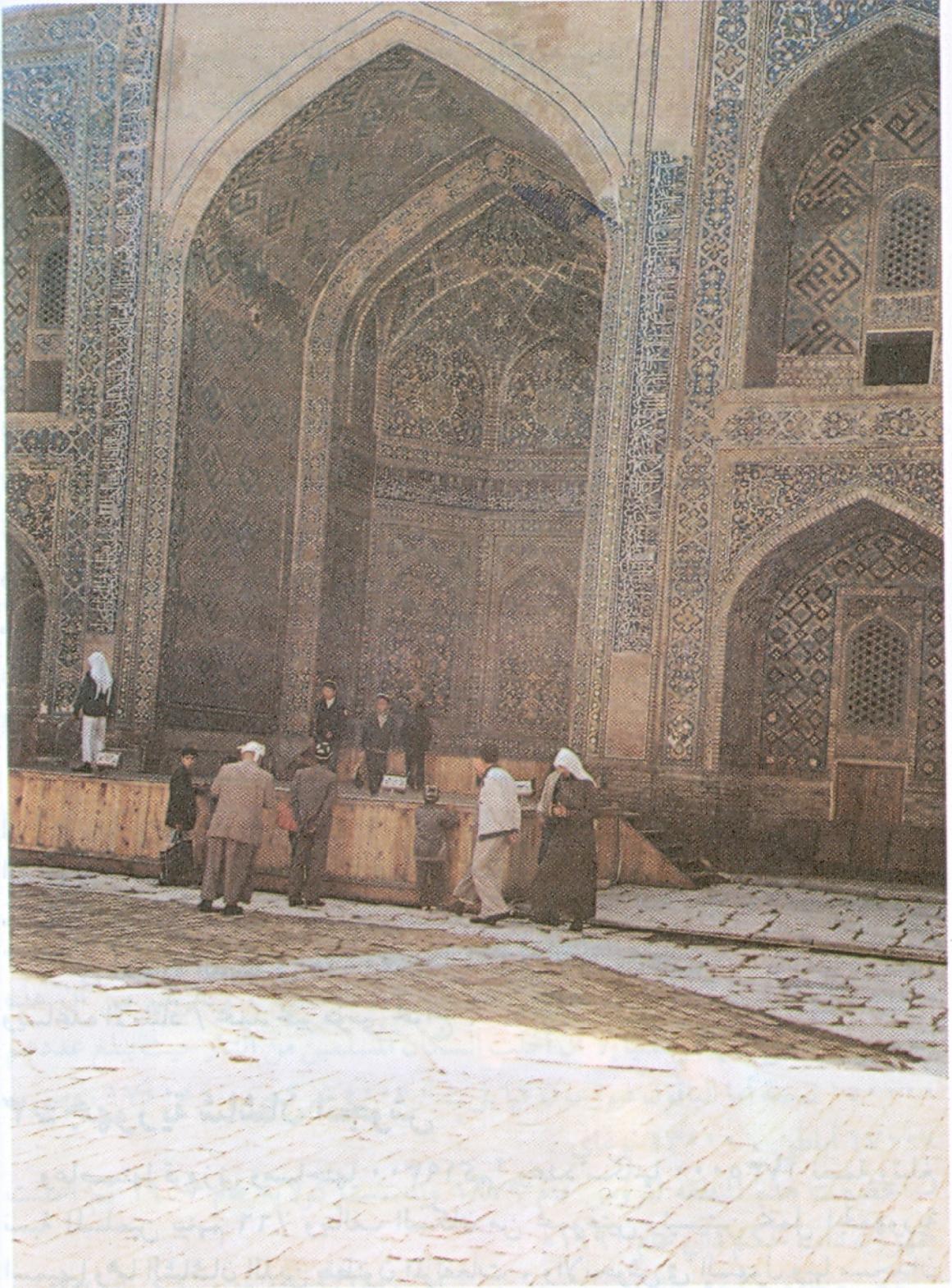
٢ - جمهورية كبارداى بلكار :

وعاصمتها (نالجيك) مساحتها ١٢٥٠٠ كم^٢ وعدد سكانها ١١٢٩٠٠٠ نسمة وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ٥٥٪ وهم أهل البلاد الأصليون الذين تتكون منهم الجمهورية وهم الكابرد والبلكار ، ويقطن الكابرد المناطق الجبلية ويشتهرون بتربية الخيول وهم من العناصر الشركسية ويتكلمون لغة خاصة بهم ، أما البلكار فيتكلمون لغة يعود أصلها إلى اللغة التركية ، ويتبع هذه الجمهورية عدة مدن منها (باخسان) وترناوز - قاشاتاوه - ازكو فاقواشا - مايسكي ، بالإضافة إلى ٩٥ قرية يقطنها مسلمون و ١٥ قرية يقطنها غير مسلمين ، وهي تشغل منطقة جبلية في غالبها تقل فيها مساحة السهول والتي تنحصر في الشمال الشرقي من البلاد حيث تلتقى بعض روافد نهر (ترك) وأهم مواردها الاقتصادية الزراعة وتربية الحيوانات .

يوجد في هذه الجمهورية في الوقت الحالى مسجداً احدهما بنى عام ١٩١٢ في قرية إسلامي والآخر في قرية قزبرون ، كما يوجد ٢١ مسجداً تحت الانشاء ، وينوى أهل القرى الإسلامية بناء مسجد في كل قرية كما تعمل الادارة الدينية على بناء مركز إسلامي في مدينة (نالجيك) العاصمة على أرض مساحتها نصف هكتار .
يرأس الادارة الدينية في هذه الجمهورية المفتي / شرف الدين بن يوسف شوشاي ويساعده الأستاذ / محمد خير موسى خواجه .

٣ - جمهورية شاشان انجوش :

وعاصمتها قروزني ومساحتها ١٩٣٠٠ كم^٢ وعدد سكانها ١٧٣٥٠٠٠ نسمة وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ٦٦٪ ويتألف السكان من مجموعتين رئيسيتين تحمل الجمهورية اسميهما وهما الشاشان الذين يقطنون المرتفعات ، والانجوش في السهول وبها مسجداً صغيران وغودرس وبها مسجد وأرجون وشالس ويوجد بها مسجد واحد واوروس



● هذا نموذج للطابع المعماري الجميل والذي يعكس صورة لما وصلت إليه الحضارة في تلك الربوع .

مارثامان وماجوبك وناظران ويوجد بكل منها مسجد وقورش لوى ويوجد بها مسجد ومدرسة باسم الحاج نصوح الذى قام بتأسيسها على حسابه ويصرف عليها حتى الوقت الحاضر .

بالإضافة إلى ١١٤ مسجداً صغيراً فى عدد من القرى التى يبلغ عددها ٥٠٠ قرية . وتخطط الادارة الدينية لبناء مركز إسلامي فى العاصمة (قروزني) ، وبلاد الشاشان غنية بمواردها الزراعية الكثيرة وثروتها البترولية حيث قدر انتاجها السنوى بعشرين مليون طن . يرأس الادارة الدينية فى هذه الجمهورية المفتى / شاهد غازابى .

٤ - جمهورية داغستان :

وعاصمتها محج قلعة ومساحتها ٥٠٣٠٠ كم^٢ وعدد سكانها ١٦٧٠٠٠٠٠ نسمة تبلغ نسبة المسلمين فيها أكثر من ٨٥٪ من أهل السنة على مذهب الامام الشافعى يتكون أغلبهم من ثلاث قبائل رئيسية هى داغستان ، قوموق ، آندي ، وأشهر مدنها دربند التاريخية التى تسمى باب الأبواب ، وقد تم فتحها فى أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وتروفسك وبونباكسكى عاصمة البلاد القديمة وكانت تسمى ثورخان شورى ويوجد بها ٥٦٠ مسجداً مسجلاً و ١٠٠٠ مسجد تحت الانشاء والتسجيل .

ويرأس الادارة الدينية فى هذه الجمهورية المفتى / بهاء الدين عيسى وتعني داغستان بالتركية بلاد الجبال إذ تؤلف الجبال ثلاثة أرباع أراضيها وتنحدر الأنهار من المرتفعات نحو البحر مما جعلها شديدة الانحدار ، وأطول الأنهار فيها نهر ترك ونهر صولان والأنهار فى الجزء الجنوبي من البلاد أقصر حيث تقترب الجبال من البحر ، ولا تترك الجبال بينها وبين البحر سوى سهل ضيق يتسع بالاتجاه شمالاً من مدينة محج قلعة فصاعداً ، ولكنه ينفتح عند مصب نهر صولاق ، وتصبح البلاد سهلية ابتداء من مصب نهر ترك .

وتزرع داغستان القمح والذرة والبطاطا والخضر والعنب ، وتربي الحيوانات وبخاصة الأغنام ، والبترول هو اليوم مورد ثروة كبيرة لداغستان ويستخرج من مكامن تحت المياه فى بحر الخزر على بعد عشرة كيلومترات من الشاطئ ، كما يوجد بالبلاد الغاز الطبيعى ، ويصنع الزجاج والسجاد وبخاصة فى مدينة رينت ودر بند أو باب الأبواب ، وتوجد أحواض لاصلاح السفن ، ومعامل لتعبئة الأسماك واللحوم ، كما توجد محطتان كبيرتان لتوليد الطاقة الكهربائية .

٥ - جمهورية أذربيجان :

المساحة ٦٨٦٣٠ كم^٢ بما في ذلك مقاطعة قره باج ذات الحكم الذاتي ومساحتها ٤٤٠٠ كم^٢ .

السكان ٧ مليون نسمة ونسبة المسلمين ٧٨٪ أغلبهم من الشيعة ويتكون السكان من :

أذربيجانيين بنسبة ٧٤٪ ، روس بنسبة ١٠٪ ، جورجيين ٣٪ ، قوميات أخرى ٣٪ ، وتسود اللغة الأذربيجانية بين السكان وهي لغة تركية .

العاصمة : باكو ويسكنها ١٨٠٠٠٠٠٠ نسمة ، ويوجد بها الإدارة الدينية التي يرأسها شيخ الإسلام الله شكر كما يوجد بها ٦ مساجد .

أهم المدن التابعة لهذه الجمهورية :

ناخشيفان ويقطنها ٢٣٩٠٠٠٠ نسمة ، كيروفباد ويقطنها ١٥٠٠٠٠٠ نسمة ، قباء ويقطنها ١١٢٠٠٠٠ نسمة ، سمجيت ويقطنها ٧٠٠٠٠٠ نسمة ، تركات الد ويقطنها ٨٦٠٠٠٠ نسمة ، قرية بلاكا ويقطنها ١٥٠٠٠٠ نسمة ويوجد بها مسجد أبومنارة وسمى بذلك الاسم لوجود منارة ارتفاعها ٤٠ متراً .

وقد دخل الإسلام هذه البلاد منذ عام ٢٢ هـ ، في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب ، وتعتبر أذربيجان بلد البترول والقطن وتجمع بين الثروة الحيوانية والمعدنية فهي تنتج نسبة ٩٪ من إنتاج البترول للاتحاد السوفيتي بالإضافة إلى إنتاجها الوفير من القطن ومن المنسوجات الحريرية والصوفية ومن الصلب والأسمت والقوة الكهربائية وكذلك من المنتجات الحيوانية والزراعية .

وتبلغ نسبة التعليم في هذه الجمهورية ٩٩٪ وتصدر أكثر من ١١٦ صحيفة توزع ٢٤٠٠٠٠٠٠ نسخة يومياً .

٦ - جمهورية طاجيكستان :

وتقع جمهورية طاجيكستان في وسط آسيا وتبلغ مساحتها ١٤٣١٠٠ كم^٢ ويحدها من الشرق إقليم التركستان الصيني ، ومن الشمال جمهورية قرغيزيا ، ومن الغرب والشمال جمهورية أوزبكستان ، ويمثل المجرى الأعلى لنهر جيحون (اموداريا) الحد الفاصل بين



● فرحوا بعودة الإسلام وسارعوا إلى المساجد
يصلون في خشوع شاكرين الله تعالى على ما منَّ عليهم به .

بالتكامل بين الحداثة والتراث
في إطار الرؤية الاستراتيجية
2015-2030
التي تهدف إلى تعزيز
الهوية الوطنية والثقافة
التي هي أساس التنمية
الاستدامة في المغرب
الذي يطمح إلى أن يكون
قطباً عالمياً في مجالات
التكنولوجيا والعلوم
والصحة والتعليم
والسياحة والثقافة
والرياضة في ظل
القيادة الرشيدة لملكنا
المغربي محمد السادس
صاحب السيادة

طاجيكستان وأفغانستان) ويعتبر الاقليم الادارى جورنو- باداخشان المتمتع بالحكم الذاتى تابعاً لجمهورية طاجيكستان ويشتمل هذه الاقليم على كتلة البامير ، ويشترك في حدوده مع الصين وأفغانستان وتبلغ مساحته ٦٣٧٠٠ كم^٢ ، وعدد سكانه ١٠٠٠٠٠٠ نسمة .

وقد حصلت طاجيكستان على استقلالها فى عام ١٣٣٨هـ (١٩٧٥م) وكان يقدر سكانها بحوالى ٣٣٨٥٠٠٠ مليون نسمة ، ويقدر عددهم فى الوقت الحاضر بحوالى ٥٥٠٠٠٠٠٠ نسمة تبلغ نسبة المسلمين بينهم ٩٠٪ .

والطاجيك أكبر العناصر السكانية فى البلاد ، إذ يمثلون ٥٦,٢٪ من مجموع السكان ، ومن هنا كانت تسمية البلاد باسم بلاد الطاجيك أو طاجيكستان وينتمي الطاجيك من الناحية العرقية إلى سلالات خليطة من الايرانيين والترک وهم زراع مسلمون ، يشغلون كل القسم الغربى والشمالى الغربى من البلاد المعروفة بفرغانة كما يشغلون الجزء الغربى من اقليم البامير .

ويتكلم الطاجيك لغة هى خليط من التركية والفارسية ، وتنتشر عناصر الطاجيك فى عدة أقطار فى المنطقة ، فبالإضافة إلى طاجيك الاتحاد السوفيتى يوجد طاجيك التركستان الصينية فى الشرق ، كما يوجد طاجيك أفغانستان وباكستان إلى الجنوب . ويمثل الأوزبك ٢٣٪ من سكان طاجيكستان ، ويسكن معظمهم فى الجزء الشمالى الغربى من البلاد ، أما الروس فهم يزيدون على عشر السكان (٩,١١٪) ، ويتركز معظمهم فى المدن .

ويبلغ التتار ٢,٤٪ من السكان ، ويتركز معظمهم فى الجزء الشرقى من البامير ، وثمة عناصر أخرى تؤلف بقية السكان أهمها الأكرانيون والقرغير ، وعاصمة جمهورية طاجيكستان هى (دوشانبه) وتقع على نهر سورخان داريا فى غربى البلاد ، وهى مدينة حديثة النشأة عمرها أقل من نصف قرن ، وكانت حتى فترة قريبة تعرف باسم ستالين آباد (أى مدينة ستالين) ، ويحيط بالعاصمة اقليم زراعى وصناعى إذ يزرع القطن فى الأودية التى حولها ، كما يزرع قصب السكر والفواكه والجوت كذلك قامت فيها صناعات مختلفة على بعض الغلات الزراعية مثل الصناعات القطنية ، وتجفيف الفواكه والنبيد والأسمنت وتعليب اللحوم ، وقد بلغ عدد سكان العاصمة وفقاً لإحصاء عام ١٣٩٥هـ

(١٩٧٥ م) ٤٣٦٠٠٠٠ نسمة ، أما في الوقت الحاضر فيقدر عددهم بحوالى ٦٠٠٠٠٠٠ نسمة .

ومن مدن الجمهورية العامة مدينة لينين أباد الواقعة على نهر سيحون في المدخل الغربي لوادى فرغانه ، وهى إحدى المدن القديمة التى نشأت على الطرق الصحراوية التى كانت تصل بين الصين وداخل آسيا ، وتشتهر بالصناعات الخفيفة والصناعات الغذائية ، ويقدر عدد سكانها بنحو ١٥٠٠٠٠٠ نسمة ، وهناك مدن أخرى أهمها كولياب الواقعة فى منطقة زراعية منخفضة السطح ، ثم مدينة خوروج الواقعة فى البامير المرتفعة على الحدود الجنوبية مع أفغانستان وهى عاصمة إقليم جورنو باداخشان المستقل ذاتياً والتابع لطاجيكستان .

وتدل الاحصاءات الرسمية على أن نسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة بين سكان البلاد الذين يتراوح سنهم بين ٩ و٤١ سنة تبلغ ٩٩,٦ ٪ .
وتوجد فى أنحاء البلاد ١٠٥٥ مكتبة تحتوى على ٩٨٦٢٠٠٠ كتاب ، كما يوجد بها ٥ متاحف و٩ مسارح ، وتنتشر فى البلاد ٦٠ صحيفة منها ٥٠ تصدر بلغة الطاجيك ، كما تنشر ٤٨ دورية متنوعة منها ١٦ بلغة الطاجيك .

وتقوم فى طاجيكستان أعلى محطة ارساد فى العالم تعنى جبال البامير ويرأس القضاء والشئون الإسلامية فى هذه الجمهورية القاضي / أكبر توره جان تحت إشراف المفتى محمد صادق محمد يوسف رئيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاستان .

٧ - جمهورية أوزبكستان :

تقع جمهورية أوزبكستان فى الجزء الجنوبي الشرقي من الاتحاد السوفييتي وتضم جمهورية أوزبكستان الحالية أراضى كانت تؤلف من قبل وحدات سياسية مختلفة منها جمهورية (كاراكلبايا) وجزء من اماره بخارى التى ضمتها الامبراطورية الروسية إلى أراضيتها مع اماره سمرقند فى عام ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م) وقسم من خانية خوارزم التى كانت قد غدت جمهورية خوارزم ، فضلاً عن مناطق أخرى . وقد أنشأ الاتحاد السوفييتي جمهورية أوزبكستان الحالية على أنقاض تلك الدويلات (وهى تشمل الآن على أقاليم ذات حكم ذاتى هى انديزهان ، بخارى ، فرغانه ، خوارزم ، سمرقند ، سورخان ، دارنسك ،



● لقاء للاهالي مع مفتي طاشقند .

طشقند) وذلك إلى جانب اقليم كاراكولبايا الذي يكون جمهورية مستقلة ذاتياً عاصمتها مدينة نوكس .

وقد أصبحت أوزبكستان جمهورية اتحادية في عام ١٣٤١هـ (٢٧ / ١٠ / ١٩٢٤م) وتبلغ مساحتها ٤٤٧٤٠٠ كم^٢ ، ولجمهورية أوزبكستان حدود مشتركة مع أفغانستان في الجنوب ، لكنها محاطة بأقاليم سوفيتية من نواح أخرى متعددة في الشمال منها تقع قازاخستان ، وفي الشرق تجاورها قيرغيزيا ، وتقع طاجيكستان في جنوبها وتركمانيا في جنوبها الغربي .

ويبلغ عدد سكان هذه الجمهورية في الوقت الحاضر ٢١ مليون نسمة وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ٨٨٪ من أهل السنة .

ويتكون السكان من عناصر مختلفة أكبرها الأوزبك (٦٥ , ٥ ٪) من مجموع السكان ثم يليهم الروس (١٢ , ٥ ٪) والتتار (٤ , ٩ ٪) والقازاخ (٤١ ٪) والطاجيك (٣ , ٨ ٪) والكاراكولباك (٢ , ٥ ٪) ويتركز الأوزبك في الأجزاء الجنوبية والجنوبية الشرقية من البلاد ، بينما يتركز الكاراكولباك في جمهوريتهم ذات الحكم الذاتي التابعة لجمهورية أوزبكستان والواقعة في منطقة جنوب بحر آرال .

وينتشر الروس في معظم المدن وبخاصة العاصمة طشقند ، ويتكلم الأوزبك لغة تركية قريبة من لغة الترك العثمانيين ولغة الترك الأذربيجانيين ، وهي اللغة الرسمية للجمهورية وتنتشر إلى جانبها اللغة الروسية ، بينما تتكلم باقي الفئات باللغات الخاصة بها .

وجميع الأوزبك مسلمون وطشقند هي مقر الإدارة الدينية التي تشرف على شؤون المسلمين في جمهوريات آسيا الوسطى وقازاقستان ، ويرأس هذه الإدارة المفتي / محمد صادق يوسف .

وأهم المدن طشقند التي زاد عدد سكانها من مليون نسمة في عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م) إلى ٢,٥ مليون نسمة في الوقت الحاضر ، وتقع طشقند على رافد لنهر سيحون بالقرب من حدود قازاقستان ، وتمتد خلفها المرتفعات الجبلية الالتوائية ، لذا يكثر حدوث الزلازل في المدينة بسبب حداثة تكوينات الجبال وعدم استقرار المنطقة ، ولطشقند أهميتها التاريخية كمركز للثقافة الإسلامية فضلاً عن أنها ظلت لفترة طويلة خلال العصور الوسطى محطة على طريق التجارة بين الصين والعالم الغربي ، وقد امتلأت أسواقها ببضائع الشرق ،

وازدهرت المدينة لمناشطها المتعددة من إدارية وتجارية وثقافية وزراعية وغير ذلك .
وطشقند المعاصرة ذات مبانٍ شاهقة ومنتزهات جميلة وتقع وسط إقليم زراعي كما انها
مركز صناعي هام تقوم فيه صناعات ثقيلة مستحدثة بالإضافة إلى الصناعات الخفيفة
المتطورة ، ففيها مثلاً أكبر مصنع للنسيج في الاتحاد السوفييتي ، كما انها تنتج الآلات
الزراعية والحفارات ومعدات المناجم وآلات التنقيب عن المعادن وأجهزته ، وتنتج أيضاً
الأسلاك والأدوات الكهربائية وآلات جمع القطن ، وإلى جانب ذلك تقوم صناعات
الدقيق واللحوم المعلبة ومنتجات الجوت وتجميع السيارات والشاحنات ، وهكذا
اشتملت طشقند على أكبر مجمع صناعي في آسيا الوسطى ، إلى جانب كونها واحة زراعية
تنتج القطن والأرز والفواكه ، ويتوافد عليها الزائرون لمشاهدة الأماكن التاريخية
الإسلامية والمناظر الطبيعية الجميلة ، بالإضافة إلى الوسائل التقنية المتقدمة للرى والزراعة
والصناعة .

أما مدينة سمرقند فتقع على نهر زوافشان ، رافد جيحون ، وقد كانت مركزاً لبلاد
الصغد كما كانت عاصمة لتيمورلنك ، وتعود إلى القرنين الثامن والتاسع للهجرة مبانها
تاريخية يحليها القرميد الأزرق ، وتتجلى فيها مميزات العمارة الإسلامية ، وتبدو مدينة
سمرقند القديمة وكأنها لم تتغير ، لكن أطرافها وضواحيها قد تغيرت بما استحدثت من
منطقة صناعية ومبانٍ سكنية على النمط الروسي وأهم صناعاتها السوبر فوسفات وأجهزة
الأفلام الناطقة والصناعات المعدنية .

وقد شهدت مدينة سمرقند تاريخاً علمياً زاهراً في عهدها الإسلامية ، وهي تضم الآن
مراكز البحث العلمي ومعاهد علمية ، ويتجاوز عدد سكانها نصف مليون نسمة ،
ربعهم من طلاب المدارس والجامعات والأساتذة والأطباء والمهندسين وغيرهم .
وفي المدينة معهد طبي لدراسة أمراض المناطق الحارة ، ومعهد تجارى للدراسة
والبحث في شئون التجارة السوفييتي ، ويذكر أن نسبة الأمية في المدينة هي الآن أقل من ١٪
بينما كانت ٩٨٪ في أوائل القرن الحالى .

وتقع مدينة بخارى في واحة جميلة يمر بها زرافشان - أحد روافد نهر جيحون - ، ولقد
كانت طشقند وسمرقند وبخارى جميعها محطات القوافل التجارية في العصور الوسطى ،
ويكفى بخارى شهرة في مجال الثقافة الإسلامية أنها أنجبت الامام البخارى وغيره من علماء
المسلمين .

ويشهد بروعة العمارة والفنون الإسلامية مساجد بخارى ذات القباب والمآذن العالية ، ومدارسها الإسلامية القديمة ، وسجادها الشرقي الفاخر بنقوشه وصناعاته وصوفه الناعم ، وهكذا كان للمدينة أهميتها الدينية والثقافية والاقتصادية في التاريخ ، وقد ظلت بخارى لمئات السنين مركزاً إسلامياً هاماً لا يقل عن بعض العواصم الإسلامية مثل بغداد ودمشق وطليطلة في اجتذاب الراغبين في التزود من علوم الإسلام ، وقد تعرضت المدينة للتخريب في عام ٦١٦ هـ على يد جنكيزخان ، فلما فتحها أوزبك في عام ٩٠٥ هـ أبقوا سمرقند عاصمة لها ، ومضى على المدينة حين من الدهر كانت تزخر فيه بنحو ١٩٧ مسجداً و١٦٧ مدرسة يجري استعادتها وترميمها ، وشرعت بخارى تأخذ خلال السنوات الماضية طابع غيرها من المدن السوفيتية فهي تضم الآن المباني العصرية على النمط الروسي ، وفيها مصانع لانتاج واجهات البيوت الجاهزة الأسمنتية . وقد ازدهر الانتاج الصناعي في بخارى باكتشاف الغاز الطبيعي بمنطقته الذي تعتمد عليه محطة القوة الكهربائية الضخمة التي أقيمت في ليومازور . كذلك قامت صناعة البتروكيمياويات معتمدة على البترول والغاز ، واستغلت الثروات المعدنية حول المدينة وأقبل آلاف المهندسين والفنيين الروس على سكنها مع عائلاتهم حيث يعملون هناك . أما الأوزبك والطاجيك فانهم يتركزون بكثرة في نواة المدينة الداخلية ، ويتوسط المدينة اقليم زراعي ينتج الأرز والقطن إلى جانب انتاجه لمختلف الصناعات الزراعية .

ولا تزال في بخارى مدرسة دينية إسلامية ، ويذكر أن ثمة اتفاقات قائمة للتبادل الثقافي بين جامعة طشقند من جهة والجامعات العربية والإسلامية من جهة أخرى وبخاصة فيما يتعلق باللغة العربية والدراسات الإسلامية .

وتشير الاحصاءات إلى أن نسبة المتعلمين بين الذين تبلغ أعمارهم من ٩ إلى ٤٩ سنة تبلغ ٩٩,٧٪ وإلى أن ٥٣,٨٪ من سكان أوزبكستان الذين يزيد عمرهم عن ٩ سنوات يحملون شهادة المرحلة الثانوية أو الشهادة الجامعية .

ويصدر في البلاد ٢٣٠ صحيفة منها ١٤٤ صحيفة تنشر باللغة الأوزبكية ، كما ينشر ١٢٤ من الدوريات المتنوعة منها ٣١ باللغة الأوزبكية .



● بعض الاخوة من المهاجرين إلى المملكة سابقاً
رجعوا إلى ديارهم وأخذوا يعمرن المساجد .

٨ - جمهورية قرغيزيا :

هى إحدى الجمهوريات الإسلامية الاتحادية فى الاتحاد السوفيتى ، وتقع فى الجزء الشرقى من آسيا الوسطى ، وتحيط بها قازاخستان من الشمال ، وأوزبكستان من الغرب ، وطاجيكستان من الغرب والجنوب ، والصين من الجنوب الشرقى ، وتبلغ مساحة جمهورية قرغيزيا ١٩٨٥٠٠ كم^٢ ، بلغ عدد سكان قرغيزيا ٢٤٣٠٠٠٠٠ نسمة فى عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣ م) ثم أصبح عددهم فى عام ١٣٩٥هـ (١٩٧٥ م) ٣٢٩٤٠٠٠٠ نسمة ، وقد بلغ فى احصائية عام ١٩٨٩م (٤٥٩٠٠٠٠٠) نسمة ، ونسبة المسلمين بينهم ٧٣٪ .

وعاصمة هذه الجمهورية (بتشيك) (فرونزى) سابقاً ، ومن المدن المهمة الأخرى (اوش) على حدود وادى فرغانه (وبرزبالك) على الطرف الشرقى لبحيرة ابيك كول ، وكيزل كيا ، وجلال آباد ، وتشتمل قرغيزيا على ١٥ مدينة و ٢٩ مركزاً حضرياً . والقرغيز من أهل هذه البلاد من أصل تركى ، ويمثل القرغيز ٤٣,٨٪ من سكان قرغيزيا والروس فى قرغيزيا ٢٩,٢٪ والاوزبك ١٠,٦٪ بينما يمثل الأوكرانيون ٤,١٪ والتتار ٢,٤٪ وتتقاسم النسبة الباقية عناصر صغيرة أخرى .

كان اقتصاد قرغيزيا من قبل رعوياً بالدرجة الأولى ، ويذكر أنه قد أصبح اليوم يجمع بين الرعى والزراعة والصناعة ، وتشتهر قرغيزيا بثروتها الحيوانية التى تربي على المراعى الطبيعية بصفة أساسية ، وقد خصصت مساحة ١١ مليون هكتار تقريباً للمراعى .

وتتوفر عدة معادن فى قرغيزيا مثل البترول والغاز الطبيعى والفحم والرصاص والزئبق والانتيمونى ، وتمتلىء قرغيزيا بمئات المصانع التى تعمل فى تكرير البترول والسكر ودبغ الجلود وحلج القطن وتنظيف الصوف وطحن الغلال وعمل التبغ وتعليب الأدوية وصناعة النسيج والأثاث إلى جانب مختلف متطلبات الهندسة والتعدين ومواد البناء والكهرباء والسيارات وغيرها .

ويرأس الشئون الدينية الإسلامية فى هذه الجمهورية القاضى / صادق كمال الدين تحت إشراف المفتى / محمد صادق يوسف .

٩ - جمهورية قازاخستان :

إحدى الجمهوريات الاتحادية في الاتحاد السوفيتي منذ عام ١٣٥٥هـ (١٩٣٦ م) ، وتقع في وسط آسيا وتبلغ مساحتها ٢٧١٧٣٠٠ كم^٢ ، وتشمل الأراضي المحصورة بين نهر الفولجا وبحر الخرز (قزوين) غرباً وجبال الطاي شرقاً ، وكذلك الأراضي الواقعة بين سهول سيبيريا شمالاً وصحاري وسط آسيا جنوباً ، تحيط بها الجمهوريات الإسلامية التركستانية (أوزبكستان ، تركمانيا ، قرغيزيا) من الجنوب ، كما تكتنفها جمهورية روسيا الاتحادية من الشمال ، وتجاورها الصين من الشرق ، وقد هيا هذا الامتداد الواسع لقازاخستان أن تحتل المرتبة الثانية في المساحة بين أقاليم الاتحاد السوفيتي بعد روسيا ، كما وجه إليها أنظار المسؤولين لاقامة محطة بيكونر في قلب منطقة الاستبس لاطلاق سفن الفضاء السوفيتية منها .

بلغ عدد سكان قازاخستان في عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣ م) نحو ١٤١٧٠٠٠٠ نسمة ، أما في احصائية عام ١٩٨٤م فقد أصبح ١٦٧٨٢٠٠٠ تبلغ نسبة المسلمين بينهم ٥٢٪ ، وبذلك تشغل قازاخستان بين أقاليم الاتحاد السوفيتي المرتبة الثالثة بعد روسيا وأوكرانيا من ناحية السكان ، ويتكون السكان من عناصر متعددة أهمها الروس الذين يكونون ٤٣٪ ، من مجموع السكان والقازاخ ٦ ، ٣٢٪ والأوكرانيون ٢ ، ٧٪ والتتار ٢ ، ٢٪ إلى جانب فئات أخرى ، ويتكلم القازاخ لغة تركية .

وأكبر مدن قازاخستان عاصمتها الما آتا (أبوالفتاح) وتقع العاصمة على سفوح منطقة جبلية تغطيها أشجار الصنوبر ، وفي وسط منطقة زراعية تتوفر فيها المياه وتصلح تربتها للزراعة وتكثر بساتين الفواكه ، ومن المدن المهمة الأخرى مدينة كراجندا وسمييلاتنسك وتشيمكنت واكمولنسك وجامبول .

ويقوم اقتصاد قازاخستان على دعائم من الزراعة والرعى والصناعة معا ويرأس الادارة الدينية في هذه الجمهورية المفتي / راتب بك بن بنسان بيه^(١) .

(١) نقلاً عن تقرير رابطة العالم الإسلامي حول أوضاع المسلمين في الاتحاد السوفيتي .

نقلا عن كتاب (المسلمون في المعسكر الشيوعي) الذي أصدرته رابطة العالم الإسلامي
تأليف الدكتور / علي منتصر الكتاني

نوع الوحدة	الوحدة الادارية	عاصمتها	مساحتها بالكيلومتر مربع	عدد السكان ١٩٧١	تاريخ غزوها تاسيسها	تاريخ
ج ف	كزاخستان	الماتا	٢,٧٥٠,٠٠٠	١٣,٠٧٠,٠٠٠	١٨٦٦	١٩٣٦
ج ف	اوزبكستان	طاشقند	٤٥٠,٠٠٠	١٢,٣٠٠,٠٠٠	١٨٧٣	١٩٢٤
ج ف	اذربيجان	باكو	٨٧,٠٠٠	٥,٢١٩,٠٠٠	١٩٢٠	١٩٣٦
ج ن	بشكيريا	اوقا	١٤٣,٦٠٠	٣,٨٣٨,٠٠٠	١٥٥٧	١٩١٩
ج ن	تتاريا	قازان	٦٨,٠٠٠	٣,١٦٥,٠٠٠	١٥٥٢	١٩٢٠
ج ف	كرغيزيا	فرونزي	١٩٨,٠٠٠	٣,٠٠٠,٠٠٠	١٨٨٦	١٩٣٦
ج ف	تاجكستان	دوشمية (دوشامبي)	١٤٣,٠٠٠	٣,٠٠٠,٠٠٠	١٨٧٣	١٩٢٩
ج ف	تركمستان	أشخباد (عشق آباد)	٤٨٧,٧٩٠	٢,٢٢٣,٠٠٠	١٨٧٣	١٩٢٥
ج ن	الداغستان	محج قلعة	٥٠,٣٠٠	١,٤٥٧,٠٠٠	١٧٢٣	١٩٢١
ج ن	أودمورتيا	ايغفسك	٤٢,١٠٠	١,٤٢٢,٠٠٠	١٥٦٠	١٩٣٤
ج ن	تشوفاشيا	شبوقسارى	١٨,٣٠٠	١,٢٣٧,٠٠٠	١٥٥٢	١٩٢٥
ج ن	تشيشين انكوش	غروزنى	١٩,٣٠٠	١,٠٨٤,٠٠٠	١٨٥٠	١٩٥٧
ج ن	مارى	يوشكار - أولاف	٢٣,٨٠٠	٦٨٧,٠٠٠	١٥٥٢	١٩٣٦
ج ن	القابرد - بلبكار	نلتشيك	١٢,٥٠٠	٦٠٠,٠٠٠	١٥٥٧	١٩٣٦
ج ن	الاوسيت الشماليون	أردجونيكيدزى	٨,٠٠٠	٥٦٠,٠٠٠	١٧٨٤	١٩٣٦
ج ن	ابخازيا	سخومي	٨,٦٠٠	٤٨٩,٠٠٠	١٨١٠	١٩٣٠
م ن	اديغيا	ميقوب	٧,٦٠٠	٣٨٩,٠٠٠	١٨٧٨	١٩٢٢
م ن	قورتشاي شركس	شركسك	١٤,١٠٠	٣٤٧,٠٠٠	١٨٧٨	١٩٥٧
ج ن	اجاريا	باتومى	٣,٠٠٠	٣١٦,٠٠٠	١٨٧٨	١٩٢١
م ن	الاوسيت الجنوبيون	تسخينوالى	٣,٩٠٠	١٠٠,٠٠٠	١٨٧٨	١٩٢٢
-	المجموع	-	-	٥٤,٥٠٣,٠٠٠	-	-

ج ف : جمهورية فيدرالية (اتحادية) ج ن : جمهورية ذاتية م ن : مقاطعة ذاتية

الفصل الثاني

دراسة تاريخية

أ - دخول الاسلام وانتشاره في البلاد حتى نهاية العصر
القيصري.

ب - المسلمون في ظل الحكم الشيوعي حتى عصر الانفتاح.

(أ)

دخول الاسلام وانتشاره في البلاد حتى نهاية العصر القيصري

ان من يتتبع تاريخ دخول الاسلام إلى روسيا منذ القرن الأول في عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه . . يدرك عظمة هذا الدين الذى أشرقت شمس على الكون وحمل مسئولية الدعوة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فنشروا الإسلام في ربوع الجزيرة العربية كلها . . ثم حلموه إلى الشام والعراق وفارس وبلاد ما وراء النهر شرقاً ثم إلى مصر والمغرب غرباً حتى ان القرن الأول الهجرى لم ينته إلا وكانت شمس الإسلام تسطع على معظم القارة الآسيوية والشمال الافريقى والأندلس ومعظم القارة الافريقية .
كانت سرعة انتشار هذا الدين مذهلة بكل المقاييس البشرية ففي عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه تم فتح مصر والشام والعراق وفارس وازربيجان وأرمينيا وجورجيا وخراسان وبلاد الديلم وطبرستان .

وفي عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه تم توطيد الفتح في البلاد التى فتحها عمر رضى الله عنه وفتحت شمال أفغانستان ، ثم توقفت الفتوح أيام الفتنة حتى كان عام الجماعة سنة ٤١ هجرية فعادت الفتوح في خلافة معاوية رضى الله عنه وفي سنة ٦٦٧هـ / ٦٦٧م تمكن المجاهدون المسلمون من عبور نهر جيحون وفتحوا الصفانيان (أذربكستان) بقيادة الحكم بن عمرو الغفاري .

وفي سنة ٥٥ هـ / ٦٧٤م جرت محاولة فتح بخارى وبيكند بقيادة سعيد بن عثمان ، وقد بذل المجاهدون الفاتحون الكثير من التضحيات ، وخلال ذلك استشهد الصحابي قثم بن العباس بن عبدالمطلب رضى الله عنه . وفي الوقت نفسه توجهت قوات أخرى من الفاتحين بقيادة الصحابي الجليل فضالة بن عبيد إلى جربة في بلاد ما وراء النهر وفتحتها . وفي سنة ٧٠ هـ / ٦٨٩م فتحت قوات الجهاد الإسلامى بلاد ترمذ موطن الامام الترمذى .

وفي عام ٧٧هـ/٦٩٦م عبرت قوات الفتح الإسلامي نهر بلخ بقيادة أمية بن خالد بن أسيد ، غير انها تعرضت لمواجهة عنيفة من سكان بلاد ما وراء النهر مما اضطرهم إلى التراجع بعد فك الحصار الذي تعرضوا له فانصرفوا إلى مرو . وقد تكررت المحاولة في السنة التالية حيث تقدمت قوات الفتح في بلاد ما وراء النهر ، وكانت القيادة حذرة في هذه الغزوة إذ تمكنت من الارتداد إلى حدود الدولة الإسلامية دون أن تتكبد شيئاً يذكر .

وفي سنة ٨٠هـ/٦٦٩م قاد المهلب بن أبي صفرة بلاد ما وراء النهر وتمكن من الوصول إلى السبل وربنجن وبخارى ومحاصرتها ، في نفس الوقت الذي توجهت فيه مجموعات أخرى من قوات الفتح الإسلامي بقيادة عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث إلى بلاد رتبيل وتوغلت فيها ورسخت فيها وجود الدولة الإسلامية .

وقد تمكن الفاتحون المسلمون في سنة ٨٨هـ/٧٠٦هـ من عبور نهر جيحون بقيادة المجاهد القائد البطل قتيبة بن مسلم الباهلي حيث حاصروا بيكند ، وبعد فتحها تم فتح مدينة بخارى ، ثم توالى فتح مدن بلاد خوارزم الواحدة تلو الأخرى ، كما تم فتح سمرقند عاصمة بلاد الصغد .

وفي عام ٨٩هـ/٧٠٧م تم فتح طاشقند وفرغانة من بلاد الشاش حيث توجهت قوات الفتح الإسلامي بعد ذلك شرقاً حيث أتمت فتح مدينة كاشغر وتقدمت حتى حدود الصين ، وخلال فترة خلافة سليمان بن عبدالملك تحدثت المصادر المعتمدة عن دخول سكان بلاد ما وراء النهر ، مدنها وباديتها في الإسلام حيث رفعت عنهم الجزية .

وفي عام ٣٢٣هـ/٨٤٧م حصلت حركة شاملة لدخول الأتراك الشرقيين الإسلام بعد اعتناق ملكهم ورجال دولته للدين الجديد ، وقد قدر عدد الذين اعتنقوا الإسلام في هذه المناسبة بما يقرب من مليون شخص ، وقد انتشر الإسلام على أيدي هؤلاء على امتداد نهر الفولجا من جهة وعلى امتداد طريق الحرير الممتد عبر تركستان ابتداءً من مشارف الصين وحتى سواحل البحر الأسود .

وفي عام ٣٩١هـ/١٠٠٠م أصبح الإسلام هو الدين الوحيد الذي يعتنقه جميع سكان المنطقة الممتدة عبر أواسط آسيا ، هذا إضافة إلى أن سهول الأورال ونهر الفولجا وسهول قازخستان قد استوطنت من قبل القبائل التركستانية المسلمة . وقد قامت إحدى تلك القبائل الرئيسية وهي المعروفة بالسلاجقة ، وكان لهم تاريخ وتجربة في الإدارة والحكم



● مجموعة من الأشقاء في مسجد في منطقة طشقند .

بالاندفاع عبر إقليم آسيا الصغرى واستقرت هناك بشكل دائم ، وكانت الدولة الخوارزمية هي أكبر الدول الإسلامية التي قامت في بلاد ما وراء النهر قبيل بروز دور المغول والتفافهم حول جنكيز خان الذي أعلن نفسه إمبراطوراً واجتاح الصين ، ثم اتجه غرباً بتحريض من البابوية ، ودخل ديار الإسلام فأسقط الدولة الخوارزمية وأحرق بخارى ودمر نيسابور ، وقد تمكن أحد أبناء جنكيز خان الذي خلفه من اكتساح روسيا حيث جعلها ولاية منغولية عام ٦٣٣هـ / ١٢٣٥م كما استولى على بولندا والمجر . غير ان المغول سرعان ما انسحبوا من أوروبا بعد حصول نزاع بين أمرائهم على العرش ، ثم قاموا بعد ذلك بهجوم شرس مدمر على عاصمة الخلافة الإسلامية بغداد عام ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م حيث أحرقوها ودمروا وأبادوا أغلب سكانها قبل أن يتوجهوا إلى بلاد الشام حيث توقف تقدمهم بعد اصطدامهم بالقوات المملوكية في معركة عين جالوت عام ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م .

وهكذا فعندما جاء التتار بتحريض من البابا للقضاء على الإسلام أصاب المسلمين ما أصابهم من الشر والبلاء ، ثم ما لبث أن أسلم أمير التتار بركة خان حفيد جنكيز خان (٦٥٤ / ٦٦٥هـ) وأسلمت معه قبيلته فنشر هؤلاء الإسلام حتى أصبح نهر الفولجا نهراً إسلامياً (قازان - استراخان - شبه جزيرة القرم) . . وعلى يد هؤلاء التتار دخلت في الإسلام بلاد البشكير ، وشبه جزيرة القرم وسيبيريا الغربية وأصبحت مدينة سبير عاصمة إسلامية في القرن السابع الهجري ، وعلى يد الدعاة والتجار انتشر الإسلام شمال وشرق آسيا وصار نصف بلاد منغوليا مسلمين ، وأصبحت امارة قازان القريبة من موسكو هي التي تعين أمير موسكو لمدة قرنين ونصف من الزمان . وبذلك خضعت للمسلمين كل البلاد التي يحكمها الاتحاد السوفييتي الآن بما في ذلك بولندا وذلك في أيام تيمورلنك .

كان الروس أمة وثنية ثم بدأ دخولهم في النصرانية عام ٩٨٨م / ٣٧٨هـ ، وعندما فتحت القسطنطينية على يد محمد الفاتح عام ١٤٥٣م / ٨٥٧هـ أصبح الروس حملة لواء الصليبية ضد المسلمين .

وظهر القيصر إيغان الثالث ١٤٨٠م / ٨٨٥هـ فبدأ حروبه ضد المسلمين التتار وأبعد موسكو عن سلطانهم ورفض دفع الجزية لسلطان قازان أحمد خان (تقع قازان على مسافة قريبة شرق موسكو) .

ثم جاء حفيده إيغان الرهيب وكان شديد الحقد على الإسلام ، وبدأ حرباً رهيبية

● مناسبة افتتاح مقر لمسجد قديم كان
يستغل لأغراض تجارية وخسيصة
وشاء الله أن يعاد ترميمه ليعود بيتاً من
بيوت المتبرع فيه الشعائر .

ضدهم واستطاع أن يكتسح قازان سنة ١٥٥٢م / ٩٦٠هـ ثم اكتسح استراخان بعد خمس سنين وأصبح حوض الفولجا خاضعاً لإيقان ، الذي فرض النصرانية على التتار المسلمين أو النزوح عن البلاد كما فعلت أسبانيا وكما تفعل إسرائيل اليوم .

وقد احتل إيقان الرهيب بعد ذلك بلاد البشكير وعاصمتها لوقا وفرض على أهلها النصرانية أو الهجرة ، ولكن هؤلاء ظلوا مسلمين سرّاً ما يزيد على ثلاثة قرون فلما أعطيت الحريات الدينية في روسيا سنة ١٩٠٥ عاد الأحفاد إلى الإسلام فأرهب ذلك العالم كله ، وروسيا القيصرية على وجه الخصوص .

وفرض إيقان النصرانية على الموردوف وهم من الفنلنديين الذين جاؤوا التتار فدخلوا في النصرانية ، وظل هؤلاء كذلك نصارى حتى عاد أحفادهم إلى الإسلام سنة ١٩٠٥ م . ثم اغتصب الروس سيبيريا من المسلمين ١٥٨٠م / ٩٨٨هـ ثم توجهوا إلى القوقاز التي كانت تارة تحت السيطرة العثمانية وتارة تحت السيطرة الإيرانية وكان الخلاف بين الدولتين سبباً في اضعافهما وعجزهما عن حماية القوقاز من الاحتلال الروسي .

وفي عام ١٨١٣م اعترف نادر شاه ملك إيران بسيطرة الروس على القفقاس ولكن المسلمين القفقاس رفعوا رايات الجهاد ضد الروس وكانوا من الداغستان الذين يتكلمون ويكتبون بالعربية ، واستمرت المقاومة من ١٧٢٢ - ١٨٥٩م وظلت روسيا تحاربهم ١٣٧ سنة حتى تمكنت من إخضاع القفقاس لسلطانها ثم واصل الروس توسعهم في آسيا الوسطى (تركستان) طمعاً في أراضيها الخصبة التي تزرع القطن خدمة للرأسمالية الروسية ، وما تزال تركستان أكبر بلد لزراعة القطن بعد الولايات المتحدة .

كان أول ما سقط من تركستان طاشقند ١٨٦٥م ثم سمرقند ١٨٧٣م ثم بخارى مسقط رأس الامام البخارى ثم خوارزم ، وواجه الروس في خوقند مقاومة شديدة فدكوا المدينة وأبادوا أهلها عن بكرة أبيهم في عام ١٨٧٦م .

ثم سقطت (مرو) ومناطق التركمان في حروب دامت من ١٨٧٣ - ١٨٨٤م ظهر خلالها مقاومة عنيفة من التركمان .

ثم أتم الروس السيطرة على تركستان سنة ١٩٠٠ وأصبحت تحت الادارة العسكرية الروسية وأقامت ستاراً حديدياً حولها لعزلها عن العالم الإسلامي ، واتبع الروس سياسة افقار الشعوب الإسلامية التي أحكموا سيطرتهم عليها ، وحاولت روسيا تنصير المسلمين .

لا شك أن من يتتبع تاريخ الحملات الروسية على مناطق المسلمين يستطيع أن يتبين أبعاد ذلك الصراع العنيف والمقاومة الباسلة التي كان المسلمون يقومون بها لصد هذا الغزو الظالم . . ومن ناحية أخرى لا بد أن يلاحظ الإنسان تلك الجهود الكبيرة التي قامت بها الدولة العثمانية عندما طلب منها هؤلاء المسلمون في هذه المناطق أن تتدخل لحمايتهم ومساعدتهم وخاصة بعد احتلال القوقاز والذي كان له دور خطير وهام في قضية مسلمي آسيا الوسطى ككل لأنه يعتبر النجاح الأول لروسيا عام ١٥٥٢ وفتح أبواب آسيا أمامها وحرص الروس فيما بعد على غزو منطقة الفولجا إلى بحر قزوين وبطبيعة الحال فإن السيطرة على كل هذا الوادي المسلم قد أعطتهم مزايا تجارية واستراتيجية وحسنت مواقعهم ، وكان الروس يرغبون بطبيعة الحال في زيادة تجارتهم مع بلاد فارس وتركستان والهند وكان وادي الفولجا هو باب الدخول إلى تلك البلاد واستمروا في حرصهم على إخضاع كل هذه المناطق ودخلوا في صراعات كبيرة مع مسلمي التتار والباشكير والقوقاز والقرغيز في الشرق وغير ذلك .

ولكن عندما استنجد المسلمون بالدولة العثمانية وبدأوا في إرسال رسائلهم إلى هناك جاءت النجدة من الدولة العثمانية وبدأت في التدخل ، ولعله كما يقول الكاتب الإسلامي الدكتور محمد ساراي في بحثه عن نتائج حملة روسيا الحضارية في أرض تركستان يقول إن هذا ربما يعتبر التدخل الجاد الوحيد في تاريخ التوسع الروسي في آسيا المسلمة وحتى التوسع البريطاني في القرن التاسع عشر فقد كان الدور الذي قامت به الدولة العثمانية دورا رائدا وليته اكتمل كما سنرى ذلك لأن عدم استمرار الدعم العثماني في فترة لاحقة أدى الى توسع الروس وزيادة قدرتهم في الهجوم على هذه المناطق الإسلامية .

ولاشك في أن انتصارات روسيا المتلاحقة على الامبراطورية العثمانية كان لها دور في تقليص قوة الدعم والتدفق العثماني مع أن السلطات التركية كانت تحاول صد هذه التوسعات ليس في السهول المسلمة فحسب بل أيضاً في مناطق القوقاز والقرم وحرصت على عمل مشروع قناة بين نهري الفولجا والدون وبعد صدور الأوامر لحاكم كيفا وخان القرم لاعداد التجهيزات اللازمة إلا أنهم بعد ذلك ونتيجة الظروف الصعبة التي مرت بها المنطقة فيما بين النهرين إضافة إلى الأحداث الداخلية كل هذا أدى إلى تغيير رأى السلطات العثمانية وتوقف مشروع القناة .

وبدأ الروس بطبيعة الحال يركزون حملاتهم ضد شعوب السهول ومناطق السهول التي كانت ضعيفة وغير مسلحة ومتفككة وكانت هناك نزاعات مختلفة فاستغل الروس كل هذه النقاط وبسطوا نفوذهم فأدخلوا جميع منطقة السهول تحت سيطرتهم ولم يجدوا صعوبة في ذلك .

وبعد تفوق الروس ودخولهم وسيطرتهم على مناطق فارس وبحر قزوين فإنهم اكتشفوا مناطق جديدة من خلال انتصاراتهم حيث انهم توسعوا إلى الشرق وإلى الجنوب وساهم في ذلك ضعف المقاومة وهذا الاحتلال .

على اننا نجد أن روسيا أرادت أن تتوسع أكثر فأكثر إلى الجنوب وإلى الغرب ولكن هذه الرغبة كانت تواجه بمقاومة شديدة من جانب القوى الأوروبية ومن هنا :

« فقد قامت بريطانيا وفرنسا وتركيا بردع روسيا بعنف في حرب القرم (١٨٥٤ - ١٨٥٦) . وقد حطمت الهزيمة في حرب القرم مكانة روسيا ليس في أوروبا فحسب ، بل وفي آسيا أيضاً . وأراد الروس استعادة مكانتهم في آسيا على الأقل ، وذلك باتمام فتح القوقاز . ولتحقيق هذا الهدف قام القيصر إلكسندر الثاني بتعيين أحد أقرب أصدقائه وأخلصهم وهو الأمير إلكسندر إيفانوفيتش بارياتنسكى نائباً للقيصر في القوقاز . وكان كذلك واحداً من أعظم قواد التوسع في عصره ومصلحاً عظيماً في المجالات العسكرية والادارية ، وبدأت إصلاحات بارياتنسكى خلال ثلاث سنوات تعطى نتائج طيبة في القوقاز ، وأصبح الجيش القوقازي أكثر فعالية في عملياته ضد القوقازيين وفي إدارته لتلك المنطقة ، وفي العامين ١٨٥٩ - ١٨٦٠ أوقعت القوات الروسية سلسلة من الهزائم بالمسلم الاسطوري الشيخ شامل وهزمت أتباعه في العامين التاليين . وهكذا أصبحت القوقاز قاعدة رئيسية لتوسع روسيا في اتجاه الجنوب الشرقي .

وفي ذات الوقت قام القيصر إلكسندر الثاني بناء على نصيحة بارياتنسكى بإرسال بعثة برئاسة أجناتيف إلى بخارى وخيفا للحصول على معلومات طوبوغرافية واحصائية وغيرها من المعلومات ذات الأهمية العسكرية عن تركستان ، وقام أجناتيف بزيارة خيفا وبخارى في ١٨٥٨م ولخص لدى عودته إلى بطرسبرج نتائج مهمته كما يلي : « إن النتيجة الرئيسية والأساسية لإرسال البعثة إلى تركستان هي أن الضباب الذي كان يخفي الخانات على الحكومة الروسية قد تبدد الآن . وقد تفتحت أعيننا على الأقل عن القيمة الحقيقية لآسيا

الوسطى . وقد اقترح على حكومته ضرورة اتباع روسيا لسياسة نشطة في آسيا الوسطى نظراً لوجود إمكانات طيبة لتوسيع السلطة الروسية في تلك المنطقة ونصح بسرعة القيام بعمل عسكري ضد خوقند واخضاع تركمان الشاطيء الشرقى لبحر قزوين للسيطرة الروسية واستخدامهم ضد خيفا .

وفي صيف عام ١٨٦٤ دعا إلكسندر الثانى لعدة اجتماعات فى بطرسبرج لمناقشة مشكلة آسيا الوسطى مرة أخرى . ولما كان أنصار اتخاذ « سياسة توسعية » هم الأغلبية ويتمتعون بمباركة القيصر فقد استقر الرأى على اتباع سياسة نشطة فى آسيا الوسطى واتخاذ الاستعدادات الضرورية لهذا الغرض . وكان أمام جور شاكوف وزير الخارجية الروسية بديل واحد هو إخفاء العمليات العسكرية بالمانورات الدبلوماسية وتقديم مبررات للحكومات الأخرى وكان جور شاكوف يمتلك الشجاعة والمهارة والخبرة الدبلوماسية اللازمة لتغطية توسع روسيا بستانر من الدخان . وفى ٣ ديسمبر ١٨٦٤ قبل أن تبدأ الجيوش زحفها أرسل جور شاكوف خطاباً دورياً إلى الممثلين الروس فى الخارج للاسترشاد به فى « أية إيضاحات يمكن تقديمها إلى الحكومات المعتمدين لديها فى حالة توجيه الأسئلة ، أو عندما يرون أن يقدموا تصحيحاً لأفكار خاطئة بالنسبة لعملائنا فى تلك الأجزاء النائية » .

وقد تم انتقاء الكلمات والأمثلة بعناية فى تلك الرسالة المكتوبة بصورة حاذقة ، وكانت مرآة لتعقيدات السياسة الروسية التى كثيراً ما دفعت الدبلوماسيين الغربيين إلى استنتاجات خاطئة وكتب جور شاكوف : « إن موقف روسيا فى آسيا الوسطى هو كمواقف جميع الدول المتحفزة التى تتصل بالشعوب النصف همجية التى لا يوجد لديها أى تنظيم اجتماعى ثابت »^(١) .

يلاحظ أن الروس عندما تقهقروا فى هذا الجانب نشطوا فى نواح أخرى وتحركت الجيوش الروسية إلى الدول الإسلامية واحتلتها فى الفترة ما بين ١٨٦٥ - ١٨٥٥ وسحقوا وقتلوا الآلاف من الأشخاص بين نساء وأطفال وشيوخ :
وبعد الإعلان عن إرسال الخطاب الدورى بدأ قادة الروس على الجبهات مع آسيا

(١) الأقليات المسلمة فى العالم . ظروفها المعاصرة واملها من أبحاث ووقائع المؤتمر العالمى السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامى فى الفترة ١٢ - ١٧ جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ ، ص ٤٩٢ - ٤٩٤ .

الوسطى فى خلق المشكّلات مع خوقند وبخارى وكيفا وبغض النظر عن القانون الدولى تحركت الجيوش الروسية إلى تلك الدول الإسلامية واحتلتها واحدة تلو الأخرى فى الفترة ما بين ١٨٦٥ - ١٨٨٥م وتم دون رحمة سحق وقتل الأشخاص الذين حاولوا الدفاع عن بلادهم . وفقد الآلاف منهم حياتهم بمن فيهم من النساء والأطفال والشيوخ وتم ذبح

الشعوب الإسلامية عمداً فى خوقند وطشقند وخيفا وجوكتيب وكانت تلك هى بعثة روسيا الحضارية فى الدول الإسلامية لآسيا الوسطى . وكان لمهمة روسيا الحضارية فى الدول الإسلامية معجبون فى أوروبا ، وكان السير / جلاستون زعيم حزب الأحرار فى بريطانيا واحداً منهم ، وكان جلاستون بوصفه مسيحياً شخصاً شديد التدين ودفعته معتقداته الدينية إلى إدانة الحكم العثماني لمسيحيي البلقان ، وأن يغتفر عمليات القمع الروسية فى تركستان ، وكان جلاستون يرى أن روسيا تدخل الحضارة والأخلاق المسيحية إلى مجاهل آسيا الوسطى المسلمة . وقال جلاستون إن حكومة القيصر : « أظهرت قدراً ملحوظاً من الاعتدال والتعقل وعدم الخضوع للأسباب القاسية التى دفعت الروس إلى القيام بمهمة مكلفة مثيرة للقلق وغير مرغوبة » ولا عجب أن أصبحت صورة جلاستون تزين مكتب الخارجية الروسية فى تسبرج وقال أحد الجنرالات الروس لأحد الصحفيين الأوروبيين فى ١٨٨٢ : (انى معجب به كثيراً) .

ومع ذلك فلم ينجح الروس فى إدارة شؤون الشعب المسلم فى تركستان ، كذلك وجد مسلمو تركستان بعد الخراب الذى لحق بهم نتيجة هجوم أعدائهم عليهم بلا رحمة أثناء الغزو أنهم وقعوا فى أيدي إداريين فاسدين . وأدت الإدارة الروسية لتركستان إلى مأساة جديدة فى حياة الشعب المسلم حيث قررت الحكومة الروسية أثناء غزوها لتركستان إنشاء مركز إدارى فى آسيا الوسطى «^(١) .

وقد عانى المسلمون ما عانوا طوال تلك الفترة من فساد الإدارة الروسية فى تركستان وشاء الله سبحانه وتعالى بعد لأي وبعد معارك طويلة أن يعترف الروس بكل ذلك الفساد ويبدأوا حملة من التحقيقات وقيض الله رجلاً من المصلحين الإسلاميين هو السيد جاسبيرلي إسمايل بك من جزيرة القرم وكان شجاعاً وله موقف هام فى هذه القضية :

(١) الاقليات المسلمة فى العالم .. ظروفها المعاصرة والامها وأملها (مرجع سبق ذكره) ص : ٤٩٥ - ٤٩٦ .

« لكن رجلاً واحداً لم ينس معاناة مسلمي تركستان ؛ ذلك هو جاسبيري اسماعيل بك المصلح الإسلامي من جزيرة القرم ، وأعلن جاسبيري في بيان شجاع أن حملة التمدين الروسية في تركستان لم تحرز أية نتائج إيجابية للمسلمين بل سببت لهم التعاسة . وطلب إلى الروس أن يتركوا المسلمين يعالجون مشاكلهم الخاصة . ولفت انتباه المسؤولين الروس إلى تجديد الحياة الإسلامية ، وبعد أن ذكر الحكومة الروسية بالحقوق الدستورية للمسلمين كواطنين روس دعا إلى الوفاء بالتزاماتها تجاه الشعب المسلم ، وذكر ان الحكومة الروسية مسئولة عن تحسين الحياة التعليمية للمسلمين ، وذلك بتوفير فرص كافية للمسلمين لتعلم لغتهم الأم والإسلام في مدارسهم ، وأعرب عن معارضته القوية لاستيعاب المسلمين في صفوف الروس ، ولكنه دافع عن التقارب الحميم بين الشعبين (المسلمين والروس) على أساس الاحترام المتبادل والاعتراف بالحقوق الأساسية وتكافل المصالح . وبالرغم من أن جاسبيري لم يحظ بأى تأييد من السلطات الروسية لتجديد الحياة الإسلامية ، فقد استطاع أن يحصل على تصريح من حكومة القيصر بأن يعمل لصالح شعبه ، ثم سافر بعدها من القرم إلى قازان ومن قازان إلى باكو ومن باكو إلى طشقند ليشرح لإخوانه المسلمين أهمية تجديد نظامهم التعليمي وبعد أن أقنع إخوانه المسلمين استطاع جاسبيري أن ينشئ المئات من المدارس الحديثة (والتي أطلق عليها الأساليب الجديدة للتعليم) في تركستان حيث بدأ المسلمون دراسة الإسلام بالاضافة إلى الموضوعات الأخرى . وكان ذلك هو الموقف في تركستان عندما نشبت الثورة البلشفية عام ١٩١٧ »^(١) .

وحين هزمت روسيا أمام اليابان عام ١٩٠٥ تحالف الروس مع الانجليز والفرنسيين وأعطت روسيا العهد لبريطانيا أن لا تمد سلطانها إلى الهند، واتفقت الدولتان على اقتسام إيران ، فأخذت روسيا الشمال الإيراني وانفردت ببترول باكو ، وأخذت بريطانيا جنوب إيران وانفردت ببترول عبادان .

ثم تعاهدت روسيا وبريطانيا وفرنسا سراً على اقتسام العالم الإسلامي وعقدت المانيا

(١) الاقليات المسلمة في العالم .. ظروفها المعاصرة وآمالها وأملها (مرجع سبق ذكره) ص : ٤٩٧ .

اتفاقية سرية مع روسيا تسمح فيها روسيا بمد الخط الحديدي من اسطنبول إلى بغداد إلى خانقين على الحدود الإيرانية العراقية بينما تقوم روسيا بمد الخط من خانقين إلى طهران ، وعندما أحست تركيا بهذا التآمر انضمت عشية الحرب العالمية الأولى إلى دول المحور (ألمانيا - إيطاليا) ولكنها خرجت من هذه الحرب مثخنة بالجراح ، ففقدت ممتلكاتها في الشام والعراق وكثير من البلاد الإسلامية الأخرى ، والغيث الخلافة ، وتسلم يهود الدوثة الحكم بتأييد ودعم من الدول الغربية والماسونية العالمية ، وأعلنت العلمانية وظهرت الدعوة إلى الأخذ بقيم الحضارة الغربية واستبدلت الكتابة بالأحرف اللاتينية بالأحرف العربية ونزع حجاب المرأة وفرض اللباس الغربي والقبعة ، ونزعت العمامة واللحي ، وقضوا تدريجياً على كل صلة لتركيا بالدول الإسلامية والعربية ووقف بعض العرب موقفاً سلبياً من الخلافة العثمانية وساهموا في توسيع الفجوة ، وزرع الأحقاد والكراهية في النفوس ، وساعدوا بذلك على ارتقاء تركيا في أحضان الغرب ، وزيادة ألمها من موقف تلك الدول العربية التي لم تنظر إلى المستقبل نظرة جادة ولا واعية .



● مصحف سيدنا عثمان رضي الله عنه ، وهو
مكتوب على الجلد ومحفوظ في متحف هناك .

(ب)

المسلمون في ظل الحكم الشيوعي حتى عصر الانفتاح

ولاشك في أن النظام البلشفي الظالم قد أعاق كثيراً تقدم الحياة الإسلامية وتعرض المسلمون لكثير من الكوارث وفي عام ١٩١٧ كان إعلان الخامس عشر من نوفمبر المشهور الذي وقعه لينين وستالين فقد قرر مجلس ممثلي أن يقوم بعملية اتصال بالمسؤولين وحدد البيان حق المساواة والسيادة للأمم الآسيوية وحق الأمم الروسية في تقرير مصيرهم بحرية بما في ذلك حق الانسحاب لتشكيل دولة مستقلة ثم جاء ذلك الإعلان المشهور الذي أعقبه بيان رسمي موجه بصفة خاصة إلى : « جميع المحمديين (المسلمين) الكادحين في روسيا والشرق » وهى كلمات قد تبدو شاذة إذا ما ظهرت في البرفدا اليوم : « يا محمدى روسيا ، يا تار الفولجا والقرم ، يا قرغيز (كازاخ) ويا أتراك تركستان ويا تار القوقاز (أذربيجان) وكل الشعوب الذين دمرت مساجدهم أو دور عبادتهم والذين سحقت دياناتهم وعاداتهم ومؤسساتهم الوطنية والثقافية ، من الآن فصاعداً حرة لا يمكن انتهاك حرمتها ، عليكم بناء حياتكم الوطنية بحرية ودون عوائق إن هذا حقكم » .

وقد أوجد هذا الإعلان نوعاً من الأمل والاثارة في قلوب المسلمين الذين اعتقدوا أن العصر الذهبى لهم قد بدأ يصبح حقيقة . وبدأوا في تشكيل مؤسساتهم الوطنية والحكومة المحلية ، كخطوة نحو تشكيل حكومات مستقلة . كما بدأوا أيضاً في ترميم مساجدهم ودور عبادتهم إلا أن ذلك العصر الذهبى للمسلمين لم يتحقق ، حيث بدأ الجيش الأحمر تحت سيطرة البولشفيين في غزو الدول الإسلامية الواحدة تلو الأخرى فيما بين ١٩١٧ - ١٩٢٠ وبمجرد إتمام إعادة احتلال تلك الدول بدأ الزعماء الشيوعيون في روسيا إنشاء

ما يسمى بجمهورية الحكم الذاتي لتدمير وحدة المسلمين . وبعدها بدأ السوفييت حملة لقمع الشعوب الإسلامية في الامبراطورية السوفييتية وتغير مسلك السلطات الشيوعية تماما . وبدأ السوفييت يتهمون الشعب المسلم صراحة بمعاودة الثورة فيما بين ١٩١٧ - ١٩٢٠ وقد وصف مصدر سوفييتي حديث خلفية تلك الفترة كما يلي :

« في نوفمبر ١٩١٧ اجتمع الفقهاء والشيوخ والتجار والأثرياء وممثلو البرجوازية الوطنية وكبار أنصار الوحدة الإسلامية والوحدة التركية في خوقاند فيما يعرف بالمؤتمر الإسلامي وحاول البرجوازيون الوطنيون استناداً إلى نقطة رئيسية في البرنامج الوطني للبلوريتاريا التي تعلق حق الشعوب في تقرير المصير بما في ذلك الانسحاب وتشكيل دولة مستقلة أن « يجسدوا » خططهم الرامية إلى فصل التركستان عن روسيا وإخضاعها للامبريالية الأمريكية والبريطانية »^(١) .

ثم إننا من ناحية أخرى يمكن أن نلاحظ الكيفية التي لجأ إليها الثوار البلشفيون في تعاملهم مع الشعوب الإسلامية ومحاولة استدراجهم بالبيانات الكاذبة عندما قالوا في بيانهم المشهور : أيها المسلمون من الآن فصاعداً فإن عقيدتكم وعاداتكم ومؤسساتكم الوطنية والثقافية ستكون حرة ولها حرمتها وعليكم بناء حياتكم الوطنية وهذا حق من حقوقكم .

من هنا تتضح طريقة المراوغة التي جرى اتباعها لأنهم بعد ذلك انقضوا عليهم وقتلهم وأهانوهم ومع انهم في البداية لم يتخذوا ضد المسلمين إجراءً عنيفاً فقد بدأوا عام ١٩٣٠ الحركة الحقيقية المعادية للإسلام في المجالات السياسية والتعليمية في تركستان وحرصوا للأسف على كسب بعض علماء المسلمين إلى صف الشيوعية وأخذوا يسيئون للإسلام ويسعون إلى تفسيره من وجهة نظر شيوعية بل ويزيفون حقائق عن الإسلام والمسلمين وبدأوا باجبار أبناء المسلمين على دراسة الاحاد في المدارس والجامعات واستفادوا من بعض فئات المنافقين الذي انخرطوا في صفوفهم .

ومما يلاحظه الكتاب والمؤرخون أن روسيا كانت تتبع سياسات عجيبة فهي في الداخل تقسو على المسلمين وتظلمهم وتسحقهم وتمنعهم من أبسط حقوقهم ولكنها في الخارج تبدو

(١) الأقليات المسلمة في العالم .. ظروفها المعاصرة وآمالها وأملها (مرجع سبق ذكره) ص : ٤٩٨ - ٤٩٩ .

بصورة أخرى حيث تدعى أنها تحافظ على حقوقهم وإنما تنظمهم بطريقة حضارية وإنها تحاول بث الأمن والاستقرار والحيلولة دون الفوضى والاقتيال في تلك المناطق وكل ذلك كان مجموعة أكاذيب تنشرها على الدول الإسلامية في وقت كانت تقمع الإسلام والمسلمين في الداخل وتحاول بصورة أخرى أن تكسب تعاطف الدول الإسلامية معها خارج الاتحاد السوفييتي ولكن الله سبحانه وتعالى غالب على أمره وأصبحت غالبية الدول الإسلامية تعرف حقيقة الموقف الروسي والثورة البلشفية من الإسلام ولكن في بداية الأمر بطبيعة الحال كان كثير من الدول الإسلامية قد خدعت بقصد أو بدون قصد . .

ولعل أهم أو أخطر ما كان يعاني منه المسلمون من الحملات الشيوعية هو :

(١) تم اعتقال الزعماء الروحيين للمسلمين وأعدم الكثيرون منهم وترك المسلمون بدون أية قيادات إسلامية مؤهلة .

(٢) تم اغلاق المساجد والمدارس ومصادرة أملاك الأوقاف .

(٣) منع تعليم الشباب وفق الأسس الإسلامية .

(٤) منع المسلمين من ممارسة أركان الإسلام من صلاة وصوم رمضان وزكاة وحج بنص القانون .

(٥) منع نشر كتب التراث الإسلامي .

(٦) وضع جميع الوسائل الممكنة تحت تصرف الشيوعية كعقيدة لروسيا في حربها ضد الإسلام .

(٧) ظل التعليم المعادى للإسلام لشبابنا مستمراً حتى الوقت الحالي كجزء أساسي من سياسة التعليم الشيوعية .

(٨) ظلت النظرية الشيوعية وممارسة الإلحاد جزءاً لا يتجزأ من الكيان الأساسي للدولة ويتمتع المسلمون بدلا من ذلك بعقيدتهم الداخلية وإيمانهم الذي لا يتزعزع في الله .

(٩) كما أن من الحقائق أن الشيوعية تقوم بتدريب بعض مجموعات الشباب الملحد من عائلات إسلامية والذين يقومون بدورهم حالياً بمساعدة الروس في حربهم ضد الإسلام إلا أن هؤلاء مع ذلك لا يزالون أقلية بين المسلمين «^(١)» .

(١) الاقليات المسلمة في العالم .. ظروفها المعاصرة وآمالها وأمالها (مرجع سبق ذكره) ص : ٥٠٠ - ٥٠١ .

مع كل هذا الظلم ومع كل هذا الظلام فقد ظل هؤلاء الأشقاء يتابعون جهادهم في سبيل المحافظة على جذوة الإسلام في نفوسهم ونفوس أبنائهم وقد قدم الدكتور هايت في بحثه ملامح عن الطرق التي لجأ إليها المسلمون في الدفاع عن الإسلام في الاتحاد السوفييتي في تلك الظروف والتي تمثلت فيما يلي :

١ - العقيدة (الشهادة) :

كما هو معروف لم يتوفر للمسلمين فيما بين ١٩٣٠ - ١٩٣٧ زعماء دينيون حيث تم قتل المدرسين على أيدي السوفييت ، ومن ثم لم يكن هناك من يمكنه القيام بتذكير المسلمين بواجباتهم ، كذلك لم تكن هناك أية مواد مكتوبة عن الإسلام يمكن للشباب المسلم أن يتعلم منها ، فضلاً عن أن تعليم العقيدة الإسلامية كان ولا يزال ممنوعاً بحكم القانون في كل من النظامين التعليميين السوفييتي والصيني وبالرغم من ذلك فقد حاول المسلمون من الأجيال الأكبر سناً ولا يزالون يحاولون نقل المبادئ الأساسية للإسلام إلى الشباب المسلم ، ويتم هذا التعليم بالطبع داخل الأسر فقط .

٢ - الصلاة :

الصلاة في المسجد ممنوعة طبقاً للقانون السوفييتي، ومع ذلك فإنه بمقتضى القانون الديني (مادة ٤) فإن على المسلمين السعي لتسجيل أنفسهم إذا ما رغبوا في الصلاة معاً في المسجد .

ويجب الحصول على تصريح بذلك أن يقدم عشرون مسلماً على الأقل طلباً للسلطات البلدية لتسجيل جماعة دينية ولفتح مسجد ، ويمكن للمسلمين القيام بصلاة الجماعة فقط بعد أن تتم الموافقة على الطلب من مجلس الشؤون الدينية للمكتب الوزاري للاتحاد السوفييتي في موسكو .

ومع ذلك فإن المسلمين لا يسعون إلى تسجيل أنفسهم ، لأن الخدمات الدينية في المساجد نادرة ، حيث لا يكاد يوجد مساجد ، ولأن المسلمين يريدون حماية أنفسهم ضد المحاكمات الجنائية المحتملة من قبل الدولة الشيوعية ، ويتم القيام بمعظم الصلوات بصورة خاصة وفي السر ، وحتى في صفوف العائلة لا يتم القيام بالصلوات إلا إذا قرر

رأس العائلة إنه لا يوجد بين أعضاء الأسرة عملاء للدولة أو الحزب الشيوعي ويسمح بالصلاة بصفة دائمة في المساجد التي توافق عليها السلطات للأجيال الطاعنة في السن فقط ، ويقدر عدد المساجد المفتوحة حالياً في الاتحاد السوفييتي بحوالى (٢٠٠) مسجد وكان عدد المساجد الموجودة قبل الحكم الشيوعي (٢٤, ٣٢١) مسجداً في حالة جيدة كان يوجد منها (١٢, ٧٣٣) في تركستان وقد اختفى صوت المؤذن الذي يدعو المسلمين للصلاة .

وكما تعلمون فإن المسلمين يصلون طبقاً لمواقيت الصلاة الخاصة وعليهم أن يؤدوا صلواتهم في الاتحاد السوفييتي في صمت بقدر الإمكان نظراً لأن القانون يمنع أداء الشعائر الدينية في المكاتب الحكومية والمدارس ، وهكذا يصلون في صمت دون لفت الانتباه إلى حقيقة إنهم يقومون بذلك ، وتعنى تلك التعليقات أن المسلمين يحاولون بجميع الوسائل المتاحة لهم الإبقاء على روحهم الإسلامية .

٣ - الصيام :

لا تشير القوانين الدينية الشيوعية إلى رمضان ومع ذلك فلا يعنى هذا أن الدولة تسمح بالصيام ، وعلى العكس فإن الصيام يحظى بمعارضة عنيفة من النظام حيث يؤكد على أن الصيام يعوق استمرار العمل ومن ثم فإنه ضار بالشيوعية . وبالرغم من ذلك فإن الكثيرين من المسلمين يصومون دون أن يلفتوا الأنظار إلى أنفسهم ولأسباب اجتماعية أيضاً ، فإن المسلمين ليسوا في مركز يسمح لهم باجراء احتفالات دينية .

٤ - الزكاة :

كذلك يلتزم القانون الدينى الشيوعى الصمت إزاء مسألة الزكاة ، ومع ذلك فإنه نظراً لظروف الحياة تحت الحكم الشيوعى فلا يوجد فرد في مركز من الناحية الاجتماعية يسمح له بالوفاء بهذا الالتزام إزاء الزكاة ، ونتيجة لذلك فإن الاسهام المنتظم في الزكاة قد اختفى تقريباً من حياة المسلمين .

٥ - الحج :

يمكن أن يتم الحج إلى مكة المكرمة فقط بموافقة الحكومة السوفيتية وطبقاً لمعلوماتنا التي نحصل عليها من مسلمى تركستان فإن ما يزيد على ٥٠,٠٠٠ مسلم ينتظرون الموافقة كل عام للقيام بالحج إلى مكة المكرمة ، وتسمح الحكومة السوفيتية من آن لآخر لعدد يتراوح بين ١٨ - ٢٠ من الأفراد بالقيام بتلك الرحلة ويعلم الله كم شخصاً من بين هؤلاء من العملاء المباشرين للنظام الشيوعي . . وعلى أية حال فإن جميع من يسمح لهم بالحج يتم التحقيق معهم بصفة دائمة من قبل المخابرات السوفيتية الكى . جى . بي ويطول انتظار الآخرين للقيام بالحج ولكنهم لا يحصلون على الموافقة من موسكو أو على العملات الأجنبية»^(١) .

لا شك في أن من يتتبع آثار الدمار الهائل الذى سببته الحملات الشيوعية الحاقدة على المناطق الإسلامية يدرك مدى قسوة هذه الهجمات وما تركته من تخريب خصوصاً عندما قاموا بتحطيم المساجد وتهديم المعابد وقتلوا العلماء ونكلوا بهم واقفلوا المدارس الإسلامية وحرصوا على إبادة كل أثر للثقافة الإسلامية ثم أمعنوا فى القسوة والظلم حيث ألغوا الحرف العربي ومنعوا إقامة الشعائر الإسلامية بل إنهم كما رأينا قاموا بإجبار المسلمين على تربية الخنازير فى مزارعهم وإمعاناً فى الأذى والبلايا فإنهم قاموا باستخدام المساجد كصالات للرقص وأخذوا يقيمون فيها الحفلات الراقصة التى يحرصون على أن تكون فى صحن المسجد ثم قاموا أيضاً بتربية الخنازير فى دور العبادة كل هذه القسوة وغيرها كانوا يمارسونها ضد المواطنين العزل الأبرياء ولاشك فى أن هذا النوع من القسوة لا يقارن بأى حال من الأحوال بما فعله المغول أثناء حكم جنكيز خان وأحفاده ولا هو لاكون نفسه يمكن أن يقارن بما فعله هؤلاء الشيوعيون إذا ما بدأنا ندقق فى هذه الأمور لأن :

« الدمار الذى نشره جنكيزخان وهولاكو كان فعلاً أقل من الدمار الذى نشره الشيوعيون الروس فى بلاد ما وراء النهر . . فقد كان خراب جنكيزخان على وحشيته وفظاظته وهوله عابراً ، لم تلبث بعده مدن بخارى وسمرقند وفرغانة وخوارزم أن استعادت مكانتها إلى حد بعيد ، بل لقد استطاعت بلاد ما وراء النهر أن تحول البرابرة الجفافة الغلاظ

(١) الاقليات المسلمة فى العالم .. ظروفها المعاصرة واملها واملها (مرجع سبق ذكره) ص : ٥٠١ - ٥٠٣ .

إلى الإسلام تماماً مثلما فعلت (نيسابور) و (مرو) و (بغداد) و (دمشق) و (القاهرة) .

ولقد تحول هؤلاء المغول فعلاً إلى الإسلام وظهر منهم من كان شديد التمسك بأداب الإسلام وأخلاقه وعدله وإنصافه ، مثل السلطان علاء الدين طرمشيرين ، الذى تقدم ذكره ، وانتشرت فى عهودهم بل فى عهود آبائهم الكفرة مرده - المدارس الإسلامية - والتي اتسعت واستعادت شيئاً كثيراً من مجدها الغابر . . فأين هؤلاء المغول البرابرة الهمج من هؤلاء الشيوعيون الروس ، الذين أضافوا إلى الإبادة الحسية الإبادة المعنوية لسكان ما وراء النهر وغيرها من المناطق الإسلامية الواقعة تحت برائن استعمارهم ؟ أين مساجد تركستان التي هدمت أو حولت إلى مراقص ونواد واسطبلات ومخازن وقد بلغ عددها ٦٦٨٢ مسجداً ؟

أين مدارس تركستان الإسلامية التي أقفلت بعد دخول الروس البلاشفة والبالغ عددها ٧٠٥٢ مدرسة ؟

أين علماء الإسلام الذين ذبحهم الروس ، أو زوجوا بهم فى غياهب السجون ، أو قضاوا عليهم بنفيهم فى مجاهل سيبيريا ، أو قضاوا نحبهم وهم يشقون الطرقات فى الجبال الوعرة فى تركستان الشرقية والغربية ؟

نعم ، إن ما فعله الشيوعيون الصينيون فى تركستان الشرقية والروس فى تركستان الغربية بالمسلمين ، أفضع بمئات المرات مما فعله (جنكيزخان) وهولاكو وجغتاي مصاصو الدماء (وكان من عادة هؤلاء المغول أن يشربوا الدم مع الذهب المذاب والخمر فى حفلاتهم) .

وليس فيما نقول أدنى مبالغة إذ إن الثقافة ما لبثت إلا بضع سنوات من حكم جنكيزخان حتى عادت كأفضل ما تكون ، ثم نمت وترعرعت على يد أحفاد جنكيزخان الذى رضوا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد (صلى الله عليه وسلم) نبياً ورسولاً وقائداً ومشرعاً ، بينما نرى حرب الإبادة للدين الإسلامى والثقافة الإسلامية يقوم بها الشيوعيون الملاحدة فى جميع المناطق التي احتلوها بما فيها (تركستان) و (القوقاس) و (شبه جزيرة القرم) و (تاريا) و (اذربيجان) وغيرها من المناطق الإسلامية التي كانت زاخرة بمساجدها زاهرة بمدارسها الإسلامية العظيمة .

حتى إن الذين زاروا (تركستان) وآخرهم وفد رابطة العالم الإسلامي ، حدثونا شفهاً أن كثيراً من الشباب المسلم لا يعرف حتى كيف ينطق الشهادتين ، وكيف أن بذور الشك والاحقاد قد زرعت في شباب المسلمين هناك ، حتى أن كثيراً منهم قد اعتنق الشيوعية الالحادية ، وأعلن كفره بالدين والكهنوت أفيون الشعوب !! ويتحدث مؤلف صحفى مصرى يدعى أحمد طلعت وشغل منصب رئيس دائرة الاستعلامات بالمؤتمر الإسلامى فى عهد عبدالناصر ، فى كتابه (المسلمون فى روسيا) تحت عنوان (مزرعة الخنازير) بعد أن قام بزيارة روسيا - بما يلى :

« أمامى رسم بيانى يدل على ارتفاع نسبة الخنازير التى تربي فى مزرعة الزنجوى الجماعية ، فقد ارتفعت هذه النسبة من ١٠٠ خنزير عام ١٩٥٥م إلى الضعف فى هذه السنة عام ١٩٥٨م لهذا الرسم البيانى مغزى ظاهر لا يخفى على فطنة اللبيب ، إذ إن الخنزير حيوان نجس ، فى نظر المسلمين وقلما تجد المسلمين فى البلاد الأخرى يعنون بتربية الخنازير ، بل انهم يعتبرون ذلك من المحرمات وكيف يمكن تربية حيوان حرم فى القرآن ؟ وفى ذلك دلالة صريحة على أن أوامر القرآن ليس لها نفس الأثر والقوة التى تتمتع بها فى البلاد الإسلامية الأخرى ، ورئيس المزرعة الجماعية التى نحن بصددنا اسمه عبدالملك شير أحمدوف .. »

ويقول فى موضع آخر : « ولا تدهش بعد ذلك إذا رأيت فعل هذه المطارق على الرؤوس ، مطارق الدعوة الشيوعية ، فالعامل - هنا - إن لم يكن شيوعياً فهو جندى خاضع للأوامر سهل الانقياد رغم انه مسلم لأنه لا يستطيع أن يترك عمله ليؤدى الصلوات الخمس يومياً ، ولا يستطيع أن يجد غذاءً خاصاً بالمسلمين ولا أن يضع وقته فى الاستماع إلى عظة دينية أوليتقيد بما تفرضه عليه تقاليد الإسلام .. » .

وعندما يتحدث عن الدراسة فى (اوزبكستان) يقول : « وتدریس الديانة أمر مجهول فى هذه المدارس بل إن الديانة تحتفى كلما أوغل التلميذ فى الدراسة العلمية ، وكلما أدرك فعل الأشعة الشمسية فى نمو النبات ، كلما أيقن بأن الله لا دخل له فى هذه العملية ! » ، ثم يقول « فى ظل هذا النظام تتعرض الأجيال الإسلامية الحديثة المتعاقبة لخطر المناهج الثقافية العلمانية (أى الشيوعية) التى تحل محل القرآن الكريم والشريعة الإسلامية ، ولعل من أبرز النتائج التى أسفر عنها نظام التعليم الحديث (الشيوعى) فى آسيا الوسطى ان نشأت



● فتيات مسلمات في مصنع لصناعة السجاد .

هناك طبقة من الشعب مزودة بالثقافة اللادينية العلمانية « (أى الشيوعية الماركسية اللينينية) .

ثم يقول : « هذه الطبقة المثقفة التي خرجت من صميم الشعب ظلت وثيقة الصلة بالجمهاير وهي التي تعتبر همزة الوصل بين الشعوب الإسلامية وبين السلطات السوفيتية المركزية » ، ويتحدث عما يسمى بتحرير المرأة ، وكيف قامت السلطات السوفيتية بنزع الحجاب قسراً عام ١٩٢٧م ومعاقبة المخالفين بأشد العقوبات حتى قامت من أجل ذلك الثورة المعروفة باسم (الباسماش) التي قاومت ذلك بعنف وأدت إلى قتل الآلاف وطرد عشرات الألوف إلى مجاهل سيبيريا .

ثم يقول : « وقد ترتب على ذلك - بطبيعة الحال - تفتت الأسرة الإسلامية فلم تعد تخضع لما كان سارياً في الماضي من النظم والتقاليد ، اللهم إلا الأماكن الريفية النائية وأخيراً فإن المرأة المسلمة أصبحت تحتل المناصب المرموقة في الأحزاب الشيوعية المحلية والنقابات العمالية ، وفوق هذا وذلك تجد بعض المسلمات أعضاء في مجلس السوفييت الأعلى ، كما أن (مدام طاهر وفا) هي رئيسة اتحاد نقابات العمل الذي يضم ستمائة ألف عضو بجمهورية أذربيجان) .

ويفتخر أحد المسئولين الروس بأن غالبية المسلمين اليوم في روسيا قد تخلصوا من نير الدين ، وعبودية الله ، وإنهم تقدميون يقومون بتربية الخنازير في مزارعهم الجماعية ، كما أنهم لا يأنفون من أن يتولى حكمهم رجل كافر ، أو امرأة كافرة ، وهكذا ترى الفرق شاسعاً بين حكم جنكيزخان وجفتاي وهولاكو الذين نشروا الدمار في بلاد الإسلام لفترة وجيزة ثم عاد أبناؤهم ليرفعوا بنوده وأعلامه ويقيموا مدارسهم وينشروا لواءه ، وبين هؤلاء الشيوعيون الذين يقومون بحرب إبادة وإذابة لكل الشعوب الإسلامية الواقعة تحت نير استعبادهم الرهيب « (١) .

(١) الاقليات المسلمة في العالم .. ظروفها وآمالها (مرجع سبق ذكره) ص : ٤٢١ - ٤٢٥ .

الفصل الثالث

نتائج التسلط الأجنبي

أ. الاسلام وقضية القومية في الاتحاد السوفييتي (سابقا)

ب. واقع المسلمين في الاتحاد السوفييتي (سابقا)

أ. الاسلام وقضية القومية في الاتحاد السوفييتي « سابقا »

إن من ينظر إلى عدد القوميات في الاتحاد السوفييتي وبصورة خاصة في أوساط المسلمين كما لاحظنا في الجدول السابق حيث تظهر هناك قوميات مختلفة من كازاخستان وأوزبكستان وأذربيجان وبشكيريا وتتاريا والداغستان وإلى بقية القوميات المختلفة نلاحظ أن هذه الوحدات ذات القوميات كلها مناطق مسلمة وقوميات مسلمة ولاشك أن من ينظر في تاريخ الإسلام في الاتحاد السوفييتي وعلى ضوء القوميات المختلفة يلاحظ أنه في فترة من الفترات وبالذات خلال المعاناة التي عاناها التتار هناك بعد الهجمة العنيفة لإيقان الرهيب وخلفائه من بعده تجاه الإسلام والمسلمين وخاصة فيما يخص تتار الفولجا والذين عوملوا بقسوة نلاحظ أن تلك المعاناة والقسوة التي عانوا منها حولت مفهوم القومية لدى هؤلاء الناس لتصبح مرادفة للإسلام أو هي الإسلام ، فالكل منهم أصبح يحاول أن ينتسب إلى الإسلام أكثر من انتسابه إلى القومية وفي هذا المجال يذكر الدكتور محمد علي البار :

« ونتيجة لهذه الاضطهادات المستمرة التي عاناها المسلمون تجذر مفهوم الدين لدى هؤلاء التتار وأصبح الإسلام مرادفاً للقومية .

عهد كاترين المتسامح :

وفي عهد كاترين استولى الروس على مناطق إسلامية في القوقاس كما استولوا على القرم . . ومع ذلك فإن عهد كاترين يعتبر العهد الذهبي بالنسبة للمسلمين في تاريخ الامبراطورية الروسية على الرغم مما لاقوه في عهدها وخاصة في القرم من أهوال . . إلا أن عهدها بالنسبة لمن سبقوها ولمن جاءوا بعدها كان عهداً مشرقاً . . ففي المساجد والمدارس

تم منع الاجراء الرهيب الذي كان سياسة متبعة من قبل ومن بعد وهو اختطاف الأطفال المسلمين ووضعهم في مدارس كنسية وفصلهم عن أهاليهم بالقوة وتنشئتهم على الارثوذكسية وسمح للمسلمين بتعليم أطفالهم في مدارسهم الخاصة .

وفي عهدا انتشر التتار الذين كانوا قد طردوا من ديارهم وعملوا كتجار وسطاء بين منتجات موسكو وبين سكان آسيا الوسطى ونجحوا في هذه المهمة . . وكانوا بذلك عوناً للرأسمالية الروسية التي بدأت تظهر ، ولكن التاجر التتري كان يحمل معه إسلامه أينما حل ويفتح المساجد ويدعو للإسلام بكل لباقة وذكاء . . وشهد عهدا تحول كثير من القبائل التي كانت وثنية أو نصرانية سطحية إلى الإسلام كما شهد أيضاً عودة التتار الذين أجبروا على التنصر في عهد إيفان وخلفائه إلى الإسلام . . ورغم أن عهدا يتميز بتسامح ديني إلا أن أخصب أراضي المسلمين صودرت في عهدا لصالح النبلاء الروس كما أن أموال الأوقاف وأراضيه كثيراً ما كان يعتدى عليها . . وقد شهدت شبه جزيرة القرم الكثير من هذه الاعتداءات ، ومع هذا فإن عهد كاترين الثانية هو أفضل العهود التي مرت بالمسلمين في روسيا القيصرية والبلشفية . . ما عدا الفترة التي ظهر فيها الدوما (البرلمان الروسي) إلى الوجود لأول مرة وذلك سنة ١٣٢٣ (١٩٠٥ م) . . والذي سمح بالحريات الدينية لجميع رعايا القيصر . . ومن ضمنهم المسلمون كما أعطى الرعايا بمن فيهم المسلمون حق تأسيس الجمعيات الدينية والسياسية وإن كان هذا البند الأخير قد ألغى فعلا عندما تكونت الجمعيات السياسية الإسلامية بعد عام واحد من صدور القرار . . ولم يسمح لهذه الأحزاب بالعمل إلا بضعة أشهر فقط . . وذلك بناء على توصيات وزير الداخلية الذي أرسل تقريراً في أوائل عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) يحذر فيه مجلس الوزراء من مغبة إعطاء الحريات السياسية للمسلمين . . وبالفعل تم إلغاء هذه الجمعيات والأحزاب السياسية كما تم إلقاء القبض على مؤسسيها وزعمائها .

ظهور الحركة الاسلامية القومية (التتارية) :

لقد ارتبط مفهوم القومية لدى مسلمي الاتحاد السوفيتي منذ وقت مبكر بالإسلام وأصبح الحفاظ على الإسلام هو الحفاظ على هوية الأمة وذاتيتها وذلك على نقيض ما نراه لدى المسلمين في الأقطار الأخرى التي خضعت للتأثير الغربي ففي تركيا والبلاد العربية

وأندونيسيا وإيران كانت الحركات القومية بعيدة عن الإسلام في أيديولوجياتها متصادمة معه في أكثر الأوقات . . وإن كانت تتظاهر به أحياناً كتراث من أجل عدم إثارة غضب الجماهير المسلمة ، أما الجماعات الإسلامية وهي غالبية في تلك الديار فقد كان الإسلام كل حياتها وهو منطلقها وهويتها ، وحتى اليوم فإننا نلاحظ في بلاد مثل أندونيسيا مثلاً أن الناس ملتزمة بالإسلام معتزة به رغم قسوة الحياة وشدة الغزو النصراني لهم .

أما في الاتحاد السوفييتي فمنذ هجوم إيثان الرهيب على مناطق المسلمين واتخاذ سياسة البطش بالمسلمين ومحاولة تنصيرهم بالقوة فإن المحافظة على الإسلام كان معناها المحافظة على هوية الأمة التتارية ، وكما يقول مؤلفا كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفييتي : « أثناء الاضطهادات التي عاناها المسلمون في القرن الثامن عشر ولا سيما قبائل التتار على نهر القولجا امتزج لدى هؤلاء التتار مفهوم الدين (الإسلام) بمفهوم القومية (الملة) ، فمن الآن وصاعداً سيصبح الدفاع عن الدين في نظرهم حافظاً لهوية الأمة » .

وبما أن تثار القولجا على وجه الخصوص واجهوا سياسة تنصير قوية لم يواجهها المسلمون في المناطق الأخرى من الامبراطورية القيصرية الروسية . فإن إحساس هؤلاء التتار بالخطر الماحق ضد دينهم جعلهم أول من ربط هويتهم القومية ربطاً تاماً بالإسلام . . ولذلك فعندما ظهرت حركة القومية الإسلامية في الامبراطورية الروسية في القرن التاسع عشر الميلادي كان زعمائها ومؤسسوها من تثار القولجا ثم انتشر بعد ذلك بسرعة إلى الأقاليم الإسلامية الأخرى بتأثير تجار التتار الذين كانوا يمثلون الشتات التتاري بعد طردهم من وطنهم على نهر القولجا .

ويصف بنجيسن ولومرسييه هذه الحركة بقولهما : « لقد كانت حركة مستقلة أصلية ولدت عفويًا من الأوضاع الخاصة التي مر بها الإسلام الروسي » .

« وكان لهذه الحركة طابعها الخاص المتميز عن الحركات القومية التي ظهرت في البلاد العربية والإسلامية الأخرى حيث كانت حركة تثار القولجا قومية إسلامية منذ اللحظة الأولى بينما كانت تلك الحركات القومية ذات مفاهيم غربية ليبرالية واشتراكية بل ومتصادمة مع الإسلام في كثير من الأحيان » .

« ولقد كانت أهداف هذه الحركة في الامبراطورية الروسية هي المساواة في الحقوق مع الروس ، الحرية الدينية ، الاستقلال الثقافي ، الحكم الذاتي السياسي ، وفي بعض الأحيان النادرة الاستقلال الكامل » .

ولقد مرت هذه الحركة القومية بمفهومها الإسلامى عند تثار القولجا بثلاث مراحل وهى : الإصلاح الدينى ، الإصلاح الثقافى ، والإصلاح السياسى^(١) .
ولا شك فى أن الإصلاح الدينى اعتمد على قضايا أساسية كفتح باب الاجتهاد لمواجهة المشاكل العصرية والعودة إلى منابع القرآن الكريم والسنة المطهرة وحرص على مناقشة قضايا العصر على ضوء هذه الأسس وكذلك الإصلاح الثقافى الذى كان له دور كبير جداً حيث انهم منذ أن عملوا على إلغاء الكتابة بالحرف العربى ، وأبدلوا بالحرف اللاتينى ثم بالحرف الروسى (الكريلى) كل هذه المحاولات فشلت من جانب الحملات التنصيرية الاجبارية ذلك رغم دخول آلاف منهم إلا انهم حافظوا على إسلامهم سرّاً واستطاعوا أن يحتفظوا بعقيدتهم ويخفوا إسلامهم .

بالنسبة للإصلاح الثقافى أيضاً فإن العمل على تعميم اللغة العامية وكتابتها كل ذلك لم يؤثر إلى حد كبير وإنما أدى إلى تمسك هؤلاء الناس بلغتهم وثباتهم وكنتيجة لهذه العملية فقد حرصوا على أن تكون اللغة العربية من جديد لغة تضمهم جميعاً وانتبه الأدباء إلى خطورة ظهور اللغات الاقليمية وانتشار العامية لأن هذه الأمور تهدم عامل اللغة والوحدة اللغوية القديمة وبالتالي تهدم الثقافة الإسلامية :

« وقد انتبه هؤلاء الأدباء الجدد أنفسهم إلى خطورة ظهور اللغات الاقليمية الجديدة لأنها تشكل عامل هدم للوحدة اللغوية القديمة وبالتالي للثقافة الإسلامية الروسية . . . ولذا فقد بذلت جهود طيبة لمحاولة التقريب بين هذه اللغات . . . وفى عام ١٢٩٨هـ (١٨٨٠م) قام المفكر والسياسى التتارى القرمى اسماعيل غسبرالى (غسبرينسكى) باطلاق شعار (كونوا متحدين بلغتكم وأفكاركم وأعمالكم) وحاول إيجاد لغة تركية مبسطة جامعة تفهمها كل الشعوب التركية فى روسيا والعالم . . . وكتب بها جريدته اليومية (الترجمان) التى ظل ينشرها فى بغتشييسارى من سنة ١٣٠١هـ (١٨٨٣م) حتى عام ١٣٣٣هـ (١٩١٤م) ، والتى اعتبرت من أعظم الدوريات الإسلامية فى ذلك الوقت ، ونتيجة لتلك النهضة الثقافية فقد انتشرت المدارس والمساجد فى المناطق التتارية ففى مدينة أوفاء عاصمة بكشيرييا كان بها ١٥٥٥ مسجداً و ٦٢٢٠ مدرسة عام ١٣١٥هـ (١٨٩٧م)

(١) المسلمون فى الاتحاد السوفيتى - د . محمد على البار ، الجزء الاول ص ٨٩ - ٩٢ دار الشروق - جدة .

ومع بداية القرن العشرين كان في قازان جامعة إسلامية تضم سبعة آلاف طالب . . ومطبعة إسلامية طبعت ٢٥٠ كتاباً في عام ١٣٢٠ (١٩٠٢ م) كما كان بها مكتبة يرتادها عشرون ألف قارئ في العام .

وكما يقول بنجيسن ولومرسييه « وهكذا فما إن أقبل عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) حتى بلغ المستوى الثقافي لمسلمي روسيا درجة عالية بشكل ملفت للنظر ، وذلك بفضل الجهود الجبارة التي بذلها المصلحون وأصبحت مدن قازان وأوفا وارنبورغ وترويتسك وبغتشيساري وباكو مراكز ثقافية وفكرية جديرة بأن تكون نداءً لدمشق وبيروت والقاهرة واستامبول » .

ومن الملاحظ أن المناطق التي شهدت صحوة إسلامية وثقافية في الامبراطورية الروسية كان مركزها مناطق التتار فيما يعرف الآن بتتاريا وبشكيريا وما حولها وتتار القرم (كريميا) . . ولقد ولدت القومية الإسلامية في الامبراطورية القيصرية من الرغبة في استرجاع الماضي المشرق والحصول على المساواة مع الأوروبيين الروس « وكان للملة الإسلامية (والجدير بالملاحظة أن لفظ الملة لدى الأتراك والفرس والأفغان يعني القومية) في روسيا أساس مزدوج : ديني وعرقي (إثني Ethnic) أو بمعنى آخر إسلامي وتركي كما يقول بنجيسن ولومرسييه » .

« ولم يكن يوجد في روسيا صراع بين الروح الدينية والروح الإثنية (أى القومية العرقية) على عكس ما ظهر في تركيا والبلاد العربية بل كانت القومية العرقية تتحد وتجد ذاتها في الدين الإسلامي الذي أصبح هو الممثل للقومية العرقية في الامبراطورية الروسية »^(١) .

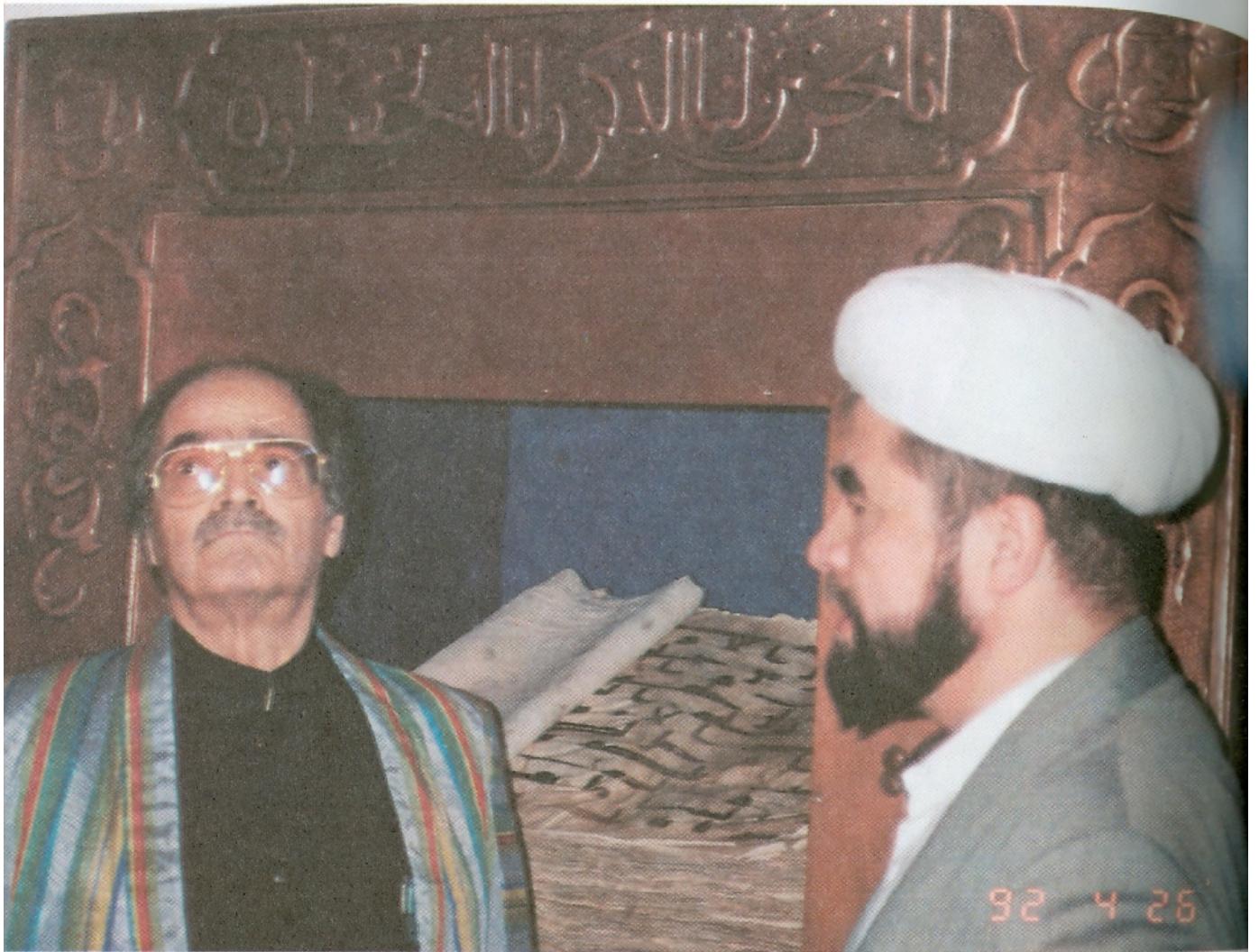
الاصلاح السياسي :

« كان التتار يعرفون أن الإسلام لم يكن قد بلغ من القوة ما يؤهله لفتح صراع مكشوف ضد الامبراطورية القيصرية . ولذا تميز قادة الحركة حتى عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) بالاعتدال ومن أشهر هؤلاء الزعماء اسماعيل غسبرالي من القرم وصدري مقصودي

(١) المسلمون في الاتحاد السوفيتي - د . محمد على البار ، الجزء الاول (مرجع سبق ذكره) ص ٩٣ - ٩٥ .



● فرحوا بلقائنا وأصروا على أن ترتدى ملابسهم وشعرنا بالقرب منهم



● مفتي طاشقند مع سعادة الشيخ صالح كامل أثناء الزيارة .

بعض الأسماء والألقاب التي وردت في هذا الكتاب هي أسماء
بعض الشخصيات التي كانت موجودة في طاشقند في ذلك الوقت
وقد تم حذفها من هذا الكتاب لعدم توفرها في ذلك الوقت



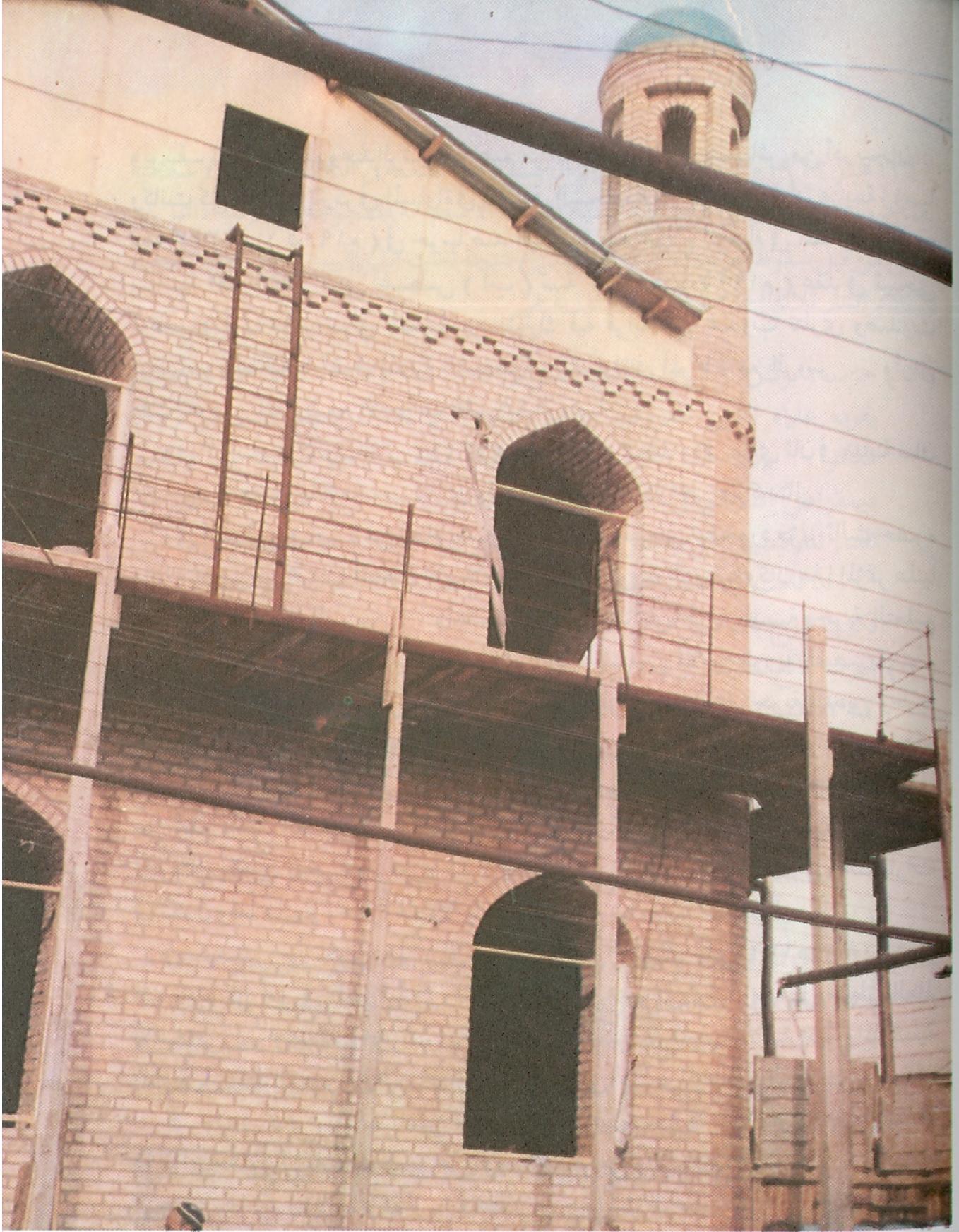
● صورة لاجتماعاتنا معهم ويبدو الاخ الدكتور توفيق القصير والدكتور عوض الثبيتي والاستاذ عمر خليفتي مع مجموعة من الأشقاء هناك يتوسطهم المفتي .



● في اوقات الصلاة تزدهم المساجد حتى الساحات .



● الفتيات هناك يرتدين الحجاب الإسلامي .



● أخذوا يتمتعون بالحرية فسارعوا إلى إعادة ترميم المساجد .

ويوسف اتشور أوغلو وعبدالرشيد ابراهيم من تاتاريا ومروان توبتسيياش من أذربيجان . وكانت كل طلباتهم تتركز في المساواة في الحقوق الشخصية مع الروس بيد أن هزيمة روسيا سنة ١٣٢٣هـ (١٩٠٥ م) في حربها ضد اليابان شجع هؤلاء الزعماء في المطالبة بحقوق سياسية أكبر . ففي شهر أغسطس (آب) سنة ١٣٢٣هـ (١٩٠٥ م) عقد في نيجني نوفجورد أول مؤتمر سري للمسلمين اشترك فيه قرابة مائة مندوب تاتاري وصدرت توصيات بالمطالبة بالحقوق المدنية الشخصية وبالمساواة في المواطنة مع الروس . . وأرفق ذلك بعرض للتعاون مع الأحزاب الليبرالية الروسية .

وفي ١٣ يناير (كانون الثاني) ١٣٢٤هـ (١٩٠٦ م) عقد مؤتمر سري ثان في مدينة سان بيترسبورغ حضره مائة مندوب تاتاري وقرمي وقفقاسي وكازاخي وتركستاني .

وفي أغسطس (آب) من العام نفسه عقد في مدينة نيجني نوفجورد مؤتمر ثالث حضره مائتا مندوب عن مختلف المناطق الإسلامية في الامبراطورية الروسية وكان هذا المؤتمر علنياً على خلاف سابقه السريين . . وأعلنت مقرراته المطالبة بالحرية الدينية وحرية التعليم وتقرر لأول مرة ظهور حزب سياسي إسلامي لكافة مسلمي الامبراطورية القيصرية .

ورغم أن هذا الحزب ظل متواضعاً في طلباته التي قصرها على حرية التدين وحرية التعليم ورغم أنه عرض تعاونه مع الليبراليين الروس الذين توقع منهم الموافقة على هذه الطلبات المتواضعة إلا أن الليبراليين الروس خيخوا آمال المؤتمرين برفضهم التعاون مما يدل على تجذر الحقد الصليبي ضد المسلمين حتى ولو لم يكونوا ملتزمين بالمسيحية . وحتى لو كانوا ممن ينادون بالحرية ويرفعون شعار العدالة والمساواة . . إذ المقصود بهذه الشعارات أن تكون وقفاً عليهم وحكراً لهم ولا ينبغي أن يتمتع بها معهم المسلمون .

وبعد سنتين من تكوين هذا (الاتفاق الإسلامي) أي في عام ١٣٢٦هـ (١٩٠٨ م) فقد قادته كل أمل في الليبرالية الروسية وهاجر كثير منهم إلى تركيا ومنها إلى مناطق العالم الإسلامي . . وعندئذ أخذ كثير من شباب المسلمين بشعارات الاشتراكية والماركسية المنادية باسقاط القيصرية والبورجوازية الروسية التي أذاقت المسلمين الويلات . . وكان الماركسيون في دعوتهم للمسلمين حذرين من توضيح حقيقة اتجاهاتهم نحو الإسلام فكانوا يتحدثون لشباب المسلمين عن الإسلام التقدمي والإسلام الاشتراكي ، والإسلام التحرري مما تكرر في نداءات لينين وخطاباته وخطابات الزعماء الشيوعيين الآخرين منذ وقت مبكر سبق قيام ثورة أكتوبر سنة ١٣٣٦هـ (١٩١٧ م) واستمر فيما بعد إلى عام

١٣٤١هـ (١٩٢٢م) . وللأسف لا نزال نسمع هذه النغمة في البلاد العربية والإسلامية بعد مرور أكثر من ستين عاماً على استهلاك هذه الاسطوانة الممجوجة في روسيا ذاتها . . . وحتى من قبل سقوط حزب (اتفاق المسلمين) نتيجة تعنت الليبراليين الروس وقد تكونت في بلاد التتار ثلاثة أحزاب راديكالية ثورية هي :

(١) حزب (برك) أو الوحدة الذي أسس في قازان سنة ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م) وكان يقوده علماء الدين المعروفون باسم (الملا) كما اشترك معهم كثير من رجال الفكر . . وكان هذا الحزب يدعو إلى قيام دولة إسلامية مستقلة مع برنامج ديمقراطي اشتراكي في المجال الزراعي والعالمي ، واندس في هذا الحزب كثير من التتار الماركسيين مثل حسين يامشيف وغفور كولا حميد نوف وعبدالله أباني . وقد قامت السلطات القيصرية البوليسية بتصفية هذا الحزب بعد عدة أشهر من تكوينه وزج بالقائمين به في السجون .

(٢) حزب تانغ تشيلار (محاربو نجمة الصباح) تأسس هذا الحزب في ربيع سنة ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م) في قازان وتولى قيادته شباب مثقفون تتار منهم : ايازاسخافي وفؤاد توكتار وعبدالله دفلتشين . . وتأثرت أيديولوجية هذا الحزب بأفكار الاشتراكيين الثوريين الروس مع تركيز اهتمامهم على مشاكل الفلاحين المسحوقين . وقد قام البوليس القيصري بتصفية هذا الحزب ورجاله عام ١٣٢٥هـ (١٩٠٧م) .

(٣) حزب أورال تشيلار (محاربو الأورال) : تأسس هذا الحزب في يناير ١٣٢٥هـ (١٩٠٧م) في مدينة اورنبرغ . . وتبنى هذا الحزب الايديولوجية الماركسية مع تمجيده للدين الإسلامي . . وهو نوع من الوهم اختلط في أذهان بعض مؤسسيه الشباب ونوع من التكتيك في أذهان الماركسيين الروس الذين تعاونوا معهم فكان في قيادته حسين ياماشيف وعمر تبريغولوف .

وقد قضى عليه البوليس في ابريل ١٣٢٥هـ (١٩٠٧م) (أى بعد أربعة أشهر فقط من تكوينه) . وهكذا واجهت الحركات السياسية الإصلاحية التي تزعمها تتار القولجا في روسيا القيصرية مصيرها البائس مع العناصر الليبرالية الروسية .

وأخذت هذه الحركة الإصلاحية السياسية تفقد بريقها منذ سنة ١٣٢٦هـ (١٩٠٨ م) ولكن ثورة ٨ فبراير ١٣٣٦هـ (١٩١٧ م) التي أطاحت بالقيصر نيقولا الثاني بعثت الأمل في نفوس كافة المسلمين في روسيا . . وأدت إلى قيام حركة ثورية إسلامية راديكالية وكما يقول بنجسين ولومرسييه « ظلت متعلقة بالإسلام الأكثر استقامة في الرأى ، ومع ذلك فبرنامجها الاجتماعي كان تقريباً اشتراكياً وقياداتها خططت جدياً لامكان التعاون مع البولشفيك » .

وسبب هذا الانعطاف الجديد نحو اليسار كما يقول المؤلفان الأنفا الذكر كان نتيجة أطروحات لينين التي أعلنها في أبريل سنة ١٢٣٦هـ (١٩١٧ م) والمنادية بالحرية الدينية التامة للمسلمين واستقلالهم الثقافي والتعليمي والسياسي . . ونتيجة الموقف المعاكس الذي وقفه الليبراليون الروس من الإسلام وهو موقف يتمثل في عدم إعطاء المسلمين أي استقلالية ثقافية ودينية يمكن أن تؤدي إلى نوع من الاستقلال السياسي .

ولذا فقد قوبل سقوط الملكية بحماس بالغ لدى أغلبية مسلمي الامبراطورية الروسية . . واعتبر بداية عهد جديد تستعيد فيه الأمة الإسلامية في روسيا وحدتها ومكانتها - وعقد في أول مايو (١٣٣٦هـ) (١٩١٧ م) مؤتمر إسلامي كبير في موسكو حضره تسعمائة مندوب من كل الأقاليم الإسلامية في الامبراطورية القيصرية السابقة والتي عرفت فيما بعد باسم الاتحاد السوفييتي . . وكان من نتائج هذا المؤتمر محاولة التوفيق بين الإسلام والاشتراكية والتشديد بقوة على الملة الإسلامية (أى القومية الإسلامية) في روسيا . . ورغم الخلاف الذي حدث بين المؤتمرين الذين انقسموا إلى فريقين أحدهما ينادى بالاستقلال التام للأمة الإسلامية في روسيا وإيجاد دولة مستقلة ذات سيادة كاملة وكان هذا الفريق يناصره التركستانيون والأذربيجانيون (الأذريون) بينما كان الفريق الآخر الذي يناصره التتار ينادي بتكوين اتحاد فيدرالي للمناطق الإسلامية مع روسيا . ومع هذا فقد اتفق الجميع على إنشاء إدارة مركزية أنيطت بها مهمة تنسيق شئون الملة الإسلامية في روسيا بالإضافة إلى مجلس شورى مركزي (ملي شورى) ولجنة تنفيذية إسلامية ، وفي يولييه (١٣٣٦هـ) (١٩١٧ م) عقد في قازان المؤتمر الثقافي لمسلمي روسيا وفي هذه المرة لم يستطع الحضور سوى ممثلي تتر القولجا والبشكير والقرم . . وأما ممثلو التركستان والقوقاس وأذربيجان فلم يستطيعوا الحضور نتيجة الحرب الأهلية الطاحنة

والفوضى العارمة التي كانت تجتاح أنقاض الامبراطورية القيصرية مع استمرار روسيا في الحرب العالمية الأولى .

وفي مؤتمر قازان ظهر الاتجاه إلى قيام دولة إسلامية فيدرالية قوية بصورة أقوى من مؤتمر موسكو وشدد المؤتمرون على وحدة مسلمي روسيا الثقافية والسياسية وعززت الإدارة الإسلامية المركزية بإنشاء مجلس حربي (حربي ثوري) مركزه قازان . ومنذ يولييه (١٣٣٦هـ) (١٩١٧م) بدأ هذا المجلس بتجنيد المسلمين تحت قيادة ضباط تثار وبشكير . . كما أنشأ المؤتمرون أيضاً إدارة ملية مركزها مدينة أوفاف في بشكيريا وكلفوها الإعداد لعقد مجلس ملي في أوفاف في ٢٠ نوفمبر ١٣٣٦هـ (١٩١٧م) الذي سيناط به تقرير مستقبل الأمة الإسلامية في روسيا»^(١) .

وهكذا نحس بأن الإسلام قد لعب دوراً أساسياً في حياة هؤلاء الناس وربطهم به فكان هو كل حياتهم وجاءت القومية مرادفة للإسلام عندهم أي أنهم ارتبطوا بالإسلام أكثر من ارتباطهم بقومياتهم أو بلغاتهم الاقليمية أو بتاريخهم المحلي واعتبروا أن حياتهم بدأت بالإسلام وتنتهي بالإسلام هذا هو الذي رفعهم ومكنهم من أن يصمدوا ويتوسعوا ويدخلوا الكثير من الناس في دين الله أفواجاً .

غير أننا سنلاحظ في الفصول القادمة أن الانهيار بدأ عندما تفتتت هذه الوحدة وتمزقت هذه العقيدة وعاد الناس إلى قومياتهم المختلفة ونزاعاتهم الاقليمية والكل أصبح يحاول أن يميز نفسه بقومية معينة وبلغة معينة وبالتالي ضاعت تلك الوحدة الإسلامية القوية التي جمعت بينهم وضعفت لغة القرآن وبالتالي ضعف ارتباط الناس بالعقيدة الإسلامية وسنفرد لهذا إن شاء الله فصلاً مستقلاً بذاته والله الموفق .

والحقيقة أن جولتنا كانت والله الحمد مثمرة ومفيدة وأعطينا الفرصة للتعرف على أحوال الأشقاء ، وأخذ معلومات صحيحة عنهم فقد كان أشد ما يؤلمهم هو جهلنا عنهم ، واستقاؤنا للمعلومات من مصادر لا تعطي معلومات دقيقة عن المسلمين هناك ، ولكن تأتي الآن المرحلة الهامة والدقيقة وهي ماذا يجب أن نعمل ؟ . . وكيف نرتب الخطوات ونضع الأولويات ؟ . . ثم إلى أي مدى سيكون تحركنا جاداً وفاعلاً حتى يطمئن الاخوة

(١) المسلمون في الاتحاد السوفيتي - د . محمد علي البار ، الجزء الاول (مرجع سبق ذكره) ص ٩٥ - ١٠٠ .

هناك . . وحتى تؤق مثل هذه الجولات ثمارها ، وأن نتصرف في الوقت المناسب لأن الهجمات عليهم كثيرة والتحديات عظيمة ، ولا بد أن نمد أيدينا لهم ونعمل بصدق وإخلاص وجدية تامة ، ونضع في اعتبارنا أننا نتسابق مع الزمن ونقف في وجه تحديات عظيمة ، ونتنافس مع مؤسسات متنوعة كلها تستهدف هذا الدين ، وهذه الأمة التي غلبت على أمرها لسنوات طويلة .

ب - نكبة المسلمين في روسيا :

لا شك أن الإنسان ليذهل وهويتابع ذلك التاريخ الإسلامي المشرق والماضي المشرف للمسلمين في الاتحاد السوفييتي والذي سجل صفحات رائعة من العلم والنهضة والشرف والخلق والرجولة والدعوة إلى الله عز وجل وحمل لواء الإسلام في أنحاء تلك البلاد حتى خرج منها الأعلام والعلماء والأبطال الذين سجلوا صفحات مشرقة في العلوم الإسلامية المختلفة والمواقف البطولية ثم أعقب ذلك ضعف وتهاون أدى إلى تدهور أحوال المسلمين وضياعهم في تلك البقاع . . ولعل من يتتبع الأسباب الحقيقية لتلك النكبة وذلك الضياع يجد أنها تركز في بعض الأمور الأساسية التالية :

١ - إن أول أسباب هذه الضياع وهذه الكوارث هو ضعف الخلافة الإسلامية ، حيث وجدت وحيث كان لها سلطان ، وغياب سلطان هذه الخلافة عن كثير من البلاد الإسلامية ، فلم يكن المسلمون دولة واحدة ولا أمة واحدة يشد بعضها أزر بعض ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، كما وصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في كثير من أقواله ، وقال الله عز وجل : (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) . . وقال عز وجل في وصف المسلمين : (أشداء على الكفار رحماء بينهم) وقال تعالى : (والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون) وقال عز وجل في الحث على جهاد الكافرين : (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم ويشف صدور قوم مؤمنين) .

٢ - انقسام الدولة الإسلامية في تلك المناطق إلى خانيات وظهور النعرة القومية وتشيتت تلك القوة الإسلامية الكبيرة .

ونتيجة لسيطرة الروس والخلافات بين الدويلات الترية : « انقسمت أملاك

القبيلة الذهبية في مجرى نهر القولجا وما حولها إلى عدة دويلات عرفت باسم الخانيات وذلك منذ سنة ٨٤٢هـ (١٤٣٨ م) حيث كانت تلك بداية النهاية وهذه الخانيات هي :

(أ) استراخان أو الحاج طرخان : التي تولى أمرها كوجوس سنة ٨٤٢هـ (١٤٣٨ م) وبقيت سلالته وخلفاؤه حتى عام ٩٦٥هـ (١٥٥٧ م) عندما احتلها إيفان الرهيب .

(ب) خانية قازان : صارت خانية سنة ٨٥٠هـ (١٤٤٦ م) ثم تولى بعده أبناؤه وأحفاده حكم قازان إلى أن استولى عليها إيفان الرهيب سنة ٩٦٠هـ (١٥٥٢ م) .

(ج) خانية القريم (القرم) : انتقل حاجي ابن أخ الغ محمد من قازان إلى القريم حيث أسس خانية القريم وصار أول خان لها واستمرت سلالته في حكمها حتى عام ١١٩٧هـ (١٧٨٣ م) عندما استولت الامبراطورة كاترين عليها .

(د) خانية قاسمون التتية الصغيرة : لقد حكم أمراء من فرع الغ محمد مؤسس خانية قازان وأفراد من أحفاد حاجي كراي خانية قاسمون من ٨٥٦هـ (١٤٥٢هـ) إلى سنة ١٠٩٢هـ (١٦٨١ م) عندما استولى عليها الروس .

(هـ) الشيبانيون : وهناك فرع من القبيلة الذهبية يعرفون بالشيبانيين نسبة إلى شيبان أصغر أحفاد جوجي ابن جنكيزخان ، وقد أسس هؤلاء الشيبانيون مملكة عظيمة في بخارى وامتد سلطانها لتشمل معظم بلاد ما وراء النهر ، وقد عاشوا جنوب شرق جبال الأورال ثم توجهوا إلى سهل القبجاق واحتلوا المنطقة المعروفة الآن باسم اوزبكستان وانتزعوها من سلالة تيمورلنك وأسسوا دولتهم القوية التي جعلوا عاصمتها بخارى «^(١)» .

الأسباب الرئيسية للانهايار :

٣ - بروز النعرات القومية واتجاه الحكام إلى تكوين كتل صغيرة لاشباع رغباتهم في الحكم على حساب تفتيت القوة الإسلامية الكبيرة .

(١) «المسلمون في الاتحاد السوفيتي» - د . محمد علي البار ، الجزء الاول (مرجع سبق ذكره) ص ٨٥ - ٨٦ .

- ٤ - تشجيع اللغات المحلية وتنميتها على حساب اللغة العربية وصرف الناس عن تعلم اللغة العربية التي كانوا يجيدونها ويتخاطبون بها ويتعلمون العلوم الإسلامية بها .
- ٥ - ظهور الفساد الأخلاقي لدى الحكام والزعماء وإقبالهم على الدنيا من حلال أو حرام مما أدى إلى الانحلال الخلقى بين الناس وضاعت التربية الإسلامية وتدهور المجتمع وعمه الوهن وكثف فيه الفساد .
- ٦ - ضعف روح الجهاد بين المسلمين وعزوفهم عنه بانشغالهم في الدنيا وإقبالهم على الترف والشهوات ، وانصرافهم عن الآخرة وحب الشهادة في سبيل الله .
- ٧ - تفرق كلمة المسلمين وتعدد دولهم وقيام الحروب والعصبيات فيما بينهم ، وتمزق البلاد الإسلامية إلى كيانات صغيرة هزيلة في العراق ومصر والشام وشمال افريقية والأندلس وفي آسيا الوسطى والأناضول ، وسائر البلاد الإسلامية التي وقعت تحت السيطرة الروسية أو غيرها من السيطرة الأجنبية .
- ٨ - ضعف الشخصية الإسلامية وذوبان الهوية .
- ٩ - ضعف الروابط الإسلامية ، وانشغال المسلمين بعضهم عن بعض ، فإذا أصيب بلد أو حلت نكبة أو طغى عدو وبغى لم يجد المستضعفون ناصرًا من إخوانهم المسلمين ، وهذا خلاف قوله تعالى : (والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون) .
- ١٠ - التخلف العام الذي عانى منه المسلمون بعد أن ضعفت روح الجهاد وطويت أعلامه ، وسيطرت الروح الفردية والقبلية لدى أمراء المسلمين الذين لم يكن يجمعهم سلطان واحد يدينون له ، فكان كل حاكم يحصر جل اهتمامه في المحافظة على ملكه المهدد في غالب الأحوال من قبل الدويلات الصغيرة المجاورة ، وقد ظهر هذا جلياً في الإمارات الترية التي كانت تحكم تلك البلاد المسلمة فالامبراطورية الترية تحولت إلى إمارات كثيرة وفي كل إمارة أمراء تتضارب أهدافهم ومصالحهم ، وتحتدم الخلافات وتقوم الحروب فيما بينهم .
- ١١ - ومن الأسباب الهامة أيضاً التآمر الصليبي على الدولة الإسلامية وعلى العالم الإسلامي وظهر هذا في إثارة البابا للتتار لشن حروبهم على المسلمين ، ثم عازمت روسيا الأرثوذكسية على التوسع على حساب البلاد الإسلامية في آسيا الوسطى وما أبداه ايقان الرهيب ومن جاء من بعده من القسوة والوحشية في حروبهم مع المسلمين ، وأحقادهم على الإسلام التي حملتهم على فرض النصرانية على تلك

الشعوب المسلمة .

ثم جمعت الأحقاد الصليبية العالم المسيحي على حرب المسلمين فاتفتت روسيا وانجلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا على محاربة المسلمين والقضاء على الخلافة العثمانية وإضعافها وخلق المشاكل لها يبعث النزعات القومية لدى الشعوب الإسلامية ، والنزعات الانفصالية عن الدولة الأم ، كما أن المصالح الاقتصادية والطمع بخيرات المسلمين وبلادهم قد حملت هذه الدول على التآمر والتعاون فيما بينها لتحقيق هذه المصالح المادية .

١٢ - ضعف الروح الإسلامية في العالم الإسلامي بسبب ما ساد من جهل وفقر ومرض وتخلف علمي وسقوط حضاري .

١٣ - سياسة حرب الإبادة التي مارسها الروس ضد المسلمين : « وتتمثل هذه السياسة في نشر الكولخوزات والكوميونات ونشر الأيديولوجية الإلحادية وتحذير الثقافة الشيوعية وتحطيم نظام الأسرة القوي المتناسك لدى المسلمين وإطالة أوقات عمل المرأة بين الرفاق . . وبطبيعة الحال منع الدراسة الدينية وتدریس اللغة العربية منعاً باتاً ومنع الكتابة بالحرف العربي وقد حول الحرف أولاً إلى اللاتيني ، ثم حول بعد ذلك إلى الحرف الروسي وعند دخول الروس البلاشفة إلى المناطق الإسلامية كانت هناك ست لغات تكتب جميعاً بالحرف العربي وتدخلها كثير من الكلمات العربية كما كان هناك ما يقرب من أربعين لهجة ليست لها كتابة فعمد الروس للتفريق بين المسلمين إلى إيجاد كتابة لجميع هذه اللهجات وجعل كل أهل لهجة يدرسون لهجتهم الخاصة ويكتبونها بالحرف الروسي كما أن عليهم تعلم اللغة الروسية كلغة أم ثانية .

وأوجد الروس النعرة القومية بين مسلمي روسيا مع أن الفكر الشيوعي يصطدم أساساً مع القوميات . . ولكن السياسة الاستعمارية الروسية انتهجت نفس خط السياسات الاستعمارية الغربية التي فتتت جسد الأمة الإسلامية بعشرات بل بمئات النعرات القومية والشنشنات الوطنية ولهذا قسم الروس المناطق الإسلامية إلى ست جمهوريات اتحادية سوفيتية وإلى ثمانى جمهوريات ذات استقلال ذاتي . . وجميعها محكومة بالمستعمر الروسي المتمثل في سكرتير الحزب الشيوعي في كل منطقة من هذه المناطق .

وقد أسلفنا القول أن إسم جمهورية ليس إلا مجرد اسم والواقع المرأنها مستعمرات

روسية يدير شؤونها موظفون من موسكو . . ورغم وجود أحزاب شيوعية في جميع هذه المناطق وجميعها تتبع الحزب الشيوعي الروسي إلا أن الروس بعد عدة تجارب سابقة لا يثقون حتى في الشيوعيين المحليين وقد قاموا مراراً بإعدام من يتولى منصب رئاسة الجمهورية وأعضاء وزارته بأكملهم ومن ذلك إعدامهم لرئيس جمهورية القرم محمد قوباي مع جميع وزرائه ١٣٤٩هـ (١٩٣٠ م) وفي عام ١٣٥٦هـ (١٩٣٧ م) تكررت نفس القصة مع رئيس الجمهورية الياس طرخان وجميع أعضاء وزارته . . ولهذا فإن سياسة روسيا تعتمد على أن يكون السكرتير الأول والثاني في كل جمهورية من هذه الجمهوريات الإسلامية هو روسي وليس محلياً مهما تظاهر بالشيوعية .

هذه الجمهوريات الاتحادية الست هي : أذربيجان في القوقاس وخمس جمهوريات في التركستان هي : أوزبكستان وقازاقستان وقرغيزيا وتركمنستان وطادجكستان . .

أما الجمهوريات التابعة لموسكو مباشرة فهي تتاريا وبشكيريا والجوفاش ومارى وموردوف وادمورت (وجميعها تقع وسط روسيا على امتداد نهري الفولجا والأورال) وسيبيريا ومنغوليا . ثم جمهورية القرم في شبه جزيرة القرم التي ألغيت وأصبحت تابعة لأوكرانيا . . وجمهوريات القوقاس الصغيرة مثل الداغستان والشاشان وأوستينا الشمالية وقابرديار - بلكارديا وجميعها تتبع موسكو مباشرة ، كما أن هناك جمهوريات صغيرة تتبع أذربيجان وجورجيا «^(١) .

١٤ - انشغال العالم الإسلامي في المشرق العربي وفي المغرب العربي وفي الأندلس بمشاكله الكثيرة وأهمها التآمر الصليبي على المسلمين ومحاولة انتزاع أوطان المسلمين من أيديهم ، وهذا ما تشهد به الحروب الصليبية في الشام ومصر ، ثم انتقالها بعد ذلك إلى الأندلس وشمال إفريقية وإلى آسيا الوسطى التي نحن بصدد الحديث عنها ، فكثيراً ما شهدنا الكوارث والنكبات التي تحل بجزء من أجزاء هذا العالم فلا تبدي الأجزاء الأخرى أى اهتمام . . لأسباب كثيرة أشرنا إلى بعضها في الأسباب السابقة .

(١) نقلاً عن كتاب «المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ» ، للدكتور محمد علي البار - الجزء الأول ص ٧٠ - ٧١ .

الفصل الرابع

التحديات التي تواجه المسلمين

تتراوح نسبة المسلمين إلى مجموع السكان في الاتحاد السوفييتي في حدود ٢٥٪ - ٣٠٪ وهم يتوزعون على مساحات واسعة وأقاليم متعددة ، لكل منها ظروفها وتطورها الاقليمي الخاص ، فهم يشكلون غالبية سكانه في عدد من الجمهوريات الاتحادية أو الأقاليم ذات الحكم الذاتي الملحقة ببعض الجمهوريات الاتحادية ، في حين نجدهم يشكلون أقلية في جمهوريات أخرى ، فليس من المتوقع أن تكون أحوالهم متماثلة إلا بقدر ما يتعلق الأمر بالسياسة السوفييتية تجاه الإسلام والمسلمين والتي نجم عنها تطور تاريخي مشترك ومتماثل ، إضافة إلى ردود الفعل الإسلامية المتماثلة والمتوافقة المتكاملة .

لقد عمدت السلطات السوفييتية - كما أسلفنا - إلى إقامة أربع إدارات دينية في عموم أراضي الاتحاد السوفييتي وهي موزعة على النحو التالي :

أ - الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان وتتولى إدارة الشؤون الدينية لما يقارب ٣٥ مليون نسمة ومركزها في (طاشقند) عاصمة (أوزبكستان) .

ب - الإدارة الدينية لمسلمي سيبيريا والقسم الأوروبي من الاتحاد السوفييتي وهي تشرف على إدارة الشؤون الدينية لما يزيد على (٢٠) مليون نسمة ومركزها في (أوقا) عاصمة إقليم باشكيرا .

ج - الإدارة الدينية لمسلمي شمال القفقاس والداغستان وتتولى الشؤون الدينية لأكثر من (٥) ملايين مسلم ومركزها في مدينة (محج قلعة) في إقليم داغستان .

د - الإدارة الدينية لمسلمي ما وراء القفقاس وتتولى إدارة الشؤون الدينية لأكثر من عشرة ملايين مسلم ومركزها في مدينة باكو عاصمة جمهورية أذربيجان .

وقد تأسس حزب النهضة الإسلامي في الإتحاد السوفييتي في منتصف عام ١٩٩٠م في مدينة استرخان التي تقع على نهر الفولجا جنوبي روسيا بهدف توحيد صفوف المسلمين في الإتحاد السوفييتي وتوفير جهودهم والسير بهم على طريق الإسلام والعمل على إحياء الكتاب

والسنة والقضاء على البدع وإبلاغ الدعوة إلى جميع المسلمين والعمل على نشرها بين غير المسلمين من الروس والأوكرانيين . ويقدم الحزب نفسه لقيادة المسلمين السوفيت بديلاً عن إدارات الافتاء الإسلامية الأربع المذكورة التي يتهمها بأنها أدوات في أيدي الحكام يتصرفون فيها كيفما يشاءون . وبأنها وسيلة لابتزاز أموال المسلمين وصدقاتهم كما اتهمها بأنها لم يكن لها نفع في الماضي ولا في الحاضر ، وأنها لا يهتمها أمر الإسلام لا في قليل ولا في كثير ، فلا تتحرك في سبيل نشر الإسلام أو تبليغ الدعوة . والواقع فإن الأجهزة الحكومية الشيوعية حرصت على انتقاء من يصلح لأغراضهم من المسلمين لتوليتهم مراكز الافتاء وتمثيل المسلمين في المحافل الإسلامية لغرض الدعاية للنظام القائم وامتداح خطواته ومهاجمة خصومه .

إن أغلب مسلمي الإتحاد السوفيتي هم من أهل السنة والجماعة وينتمون إلى المذهب الحنفي ويأتى أتباع المذهب الشافعي بالدرجة الثانية ، أما طائفة الشيعة الإمامية الجعفرية فيكثر أتباعهم في إقليم أذربيجان من شمالي الحدود السوفيتية الإيرانية . ولقد حافظ المسلمون من أهل السنة على دينهم أكثر من المتشعبة تحت وطأة المقاومة العنيفة التي مارسها الشيوعيون ضد الدين الإسلامي ، وبجانب ذلك فإن عدداً من الطرق الصوفية تجد لها صدى بين المسلمين وخاصة الطرق الصوفية النقشبندية والقادرية والبكرية .

إن غالبية السكان المسلمين في الإتحاد السوفيتي هم من أصول تركستانية إما من الجنس القوقازي أو من الجنس المغولي ، ولهذا فإن لغاتهم تتعدد بتعدد التفرعات العرقية . ولقد عمد الروس على استغلال هذه الاختلافات بتوكيدها وتعزيزها : فبعثوا أرواح القوميات الضيقة بحجة المحافظة على تراثها وآدابها وشجعوا الكيانات العرقية على الانغلاق في محيطها الضيق . وأصبح كل كيان لا يندمج مع الآخر ثقافياً أو اجتماعياً ، إضافة إلى أن التزاوج بين أفرادها أصبح من الأمور النادرة ، وإمعاناً في التفريق قامت السلطات بطمس كل الآثار التي تربط الجماعات الإسلامية بالإسلام ، فاستبدلوا الحروف العربية التي كانت سائدة حتى سنة ١٩٢٩ بحروف روسية وجعلوا اللغة الروسية لغة رسمية مشتركة ومهيمنة على كل الأقاليم ، وتشير الدراسات إلى أن متوسط أفراد العائلة المسلمة في الجمهوريات الإسلامية يتراوح بين ٤ و ٥ أشخاص وأن أكبر نسبة موجودة في طاجكستان ، في حين نجد أن أصغر نسبة هي في جمهورية قازاقستان وأن هناك فوارق تتمثل في أن عدد أفراد الأسرة في المدينة هي أصغر منها في الريف .

على أننا يجب أن ننتبه إلى الأثر السلبي لسياسة توطين الروس في المناطق المسلمة على الوضع الاجتماعي وكذلك إلى أثر سياسة التهجير الإجباري التي قام بها الاتحاد السوفييتي في آسيا الوسطى في التغيير السريع .

ومنذ سنة ١٩٨٥ م ، أصبح بإمكان الشعوب هناك أن تعترض على بعض الاجراءات والسياسات الرئيسية ، وهناك فرق كبير بين نسبة زيادة السكان المسلمين مقارنة بغيرهم ، وهو يعطى مؤشراً واضحاً على أن أعداد المسلمين سوف تتزايد مع مرور الزمن وأن نسبة غير المسلمين إلى المجموع العام للسكان هي في تناقص مستمر . أما المساجد فلم يكن هناك إحصاء رسمي دقيق للمساجد المقترحة للعبادة في الاتحاد السوفييتي ، وخصوصاً في أعقاب فترة الإرهاب الإلحادي والحملة القاسية التي شنّها خروخوف ضد الإسلام حيث تم هدم أغلب المساجد ، وقد ورد في خطاب رسمي صادر عن هيئة رئاسة الشئون الدينية في مجلس الوزراء السوفييتي في عام ١٩٧٠ بأن عدد المساجد المسجلة رسمياً في أراضي الاتحاد السوفييتي هو (٣٠٠) مسجد وبأن هناك حوالي (٧٠٠) مسجد آخر غير مسجلة . غير أن المعلومات المتوفرة تشير إلى تنامي حركة افتتاح مساجد جديدة في مناطق إسلامية متعددة بعد سنة ١٩٨٥ م .

وقد نشرت مجلة المسلمين السوفييت التي تصدرها رئاسة الشئون الدينية في آسيا الوسطى قازاخستان عام ١٩٨٦ م بأنه تم فتح عدد من المساجد في قرى منطقة أورانبورغ وبأن عدداً من المظاهرات الشعبية الإسلامية قامت في مراكز متعددة أخرى للمطالبة ببناء جوامع كبيرة وذلك يعكس نوعاً من التطور الإيجابي نحو الدين والحريات الدينية في الإتحاد السوفييتي ولا شك في أن الأوضاع الثقافية ، وأوضاع التعليم الديني بشكل خاص هي ما يعكس الوضع الديني والاجتماعي للمسلمين السوفييت ، وهي في السنوات الأخيرة وبعد التغيير الجذري في سياسة الإتحاد السوفييتي وفلسفته ظهرت بعض الليونة في التعامل الثقافي مع المسلمين وبناء على ذلك فقد تم فتح مدرسة جديدة في باكو ويجرى الإعداد لتأسيس معاهد جديدة في طاشقند وبخارى ، كما أصبح من الممكن إعداد دورات تعليمية إسلامية في قفقاسيا . كما تم فتح دورة لمدة سنتين لإعداد الأئمة والمؤذنين وهي الوحيدة من نوعها هناك . والإجراءات الأخرى المؤثرة في الحياة الثقافية الإسلامية في الإتحاد السوفييتي تتمثل في اعتماده سياسة محور الأمية وتعميم التعليم الذي بلغ عام ١٩٨٠ م نسبة ٩٠٪ من المسلمين ، ولكن هناك اتجاهاً عكسياً في إيصال الثقافة الإسلامية في الإتحاد

للتجمعات المسلمة . فالتعليم يستند إلى الفلسفة الشيوعية المحاربة للأديان والقيم . وقد أضرت هذه السياسة بالمسلمين كثيراً ، حيث ازداد أعداد الملحدون في المناطق الإسلامية بشكل كبير مما كانت له انعكاسات على البناء الاجتماعي والثقافي الإسلامي في تلك البلاد .

ولقد منعت السلطات السوفييتية تداول أية مادة ثقافية غير التي تنشرها الدولة وفقاً لتعاليم الحزب الشيوعي ، ولذلك فقد حظر دخول المصاحف إلى الأرض السوفييتية ، ويصادر كل ما يصطحبه المسافرون من الطلبة والسواح منها . أما مواد الدراسة التي لها علاقة بالعبقيرة الإسلامية والحضارة الإسلامية فهي تقدم للطلاب وفق المنظور المادي الإلحادي إذ يفسر لهم التاريخ تفسيراً مادياً . كما تقدم مواد الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي بشكل لا يعطى سوى صورة ضد الإيمان بالله وضد الإسلام على وجه الخصوص وتؤكد ذلك الصحافة والمجلات وكافة وسائل الإتصال والإعلام المسموعة والمرئية . في حين جرى إنشاء محطات تشويش قوية جداً لافساد أى إرسال إذاعي يستهدف توعية المسلمين أو التأثير عليهم .

وعلى الرغم من السلبات التي أفرزتها الثورة في إيران والتي استغلها الروس أحسن استغلال بقصد تشويه صورة الإسلام ، فإن ما أحدثته حركة الجهاد الإسلامية في أفغانستان من تأثيرات في المجتمع الإسلامي داخل الاتحاد السوفييتي كان إيجابياً إلى حد بعيد في تحريك المشاعر الإسلامية ورفع المعنويات ، كما أن للدعوة الإسلامية المنتشرة بين الطلاب الوافدين من الدول العربية والإسلامية آثارها الإيجابية في هذا المجال رغم تضيق الحزب الشيوعي وردود فعله العنيفة ، فقد أعان ذلك على التعريف بحقيقة السياسة السوفييتية تجاه الإسلام والمسلمين .

إن الأقاليم الإسلامية في الاتحاد السوفييتي ذات مساحات واسعة وهي قليلة السكان الأمر الذي ساعد على وجود مراعي كافية وهي ذات سهول واسعة صالحة للرعي كما هو الحال في قازاقستان وأوزبكستان وتركمانستان بالإضافة إلى صحراء القفجان وأطراف حوض نهر الفولجا مع سهول سيبيريا الغربية ، وهذا ما جعلها تصلح لتربية الأغنام على نطاق واسع ، كما أن الواحات المترابطة أو المفردة والتي تكثرت على امتداد أحواض الأنهار تعد مكاناً ملائماً لتربية الأبقار . أما الأراضي الجبلية في الأورال وطاجكستان وقرغيزيا

وقازقستان وبلاد القفقاس فإن سفوحها تشكل أماكن مثالية لتربية الأغنام والماعز ، وبجانب ذلك فإن المسلمين في إقليم قرغيزيا امتنوا منذ القدم بتربية الخيل في بلادهم حيث يستفيدون من لحومها إضافة إلى استخدامها في التنقل ، كما أن إقليم الشركس الإسلامي يشتهر بتربية الخيل لاستخدامها في الأعمال المختلفة إضافة إلى اعتزازهم بأعمال الفروسية . وهكذا فإن معظم الثروة الحيوانية في الاتحاد السوفييتي تنتج في الأقاليم الإسلامية فيها وتنتج قازقستان وحدها ثلاثين مليون رأس من الأغنام وهو ما يزيد على ربع الإنتاج السوفييتي إضافة إلى ما يربي فيها من أبقار والتي تزيد على ستة ملايين رأس وتشتهر تركمانستان بتربية الماعز وينتشر في سهولها وعلى سفوح جبالها ما يزيد على أربعة ملايين رأس منها ، كما تشتهر كل من باشكيريا وداغستان بتربية الأغنام والماعز والأبقار ولا تخلو بقية الأقاليم من إنتاج نسبة طيبة منها .

أما الزراعة فقد استولى المستعمرون الروس على أحسن الأراضي الزراعية في الأقاليم الإسلامية واستغلوها لمصلحتهم وحاولوا استعباد أهلها بمختلف الوسائل وبذلوا جهوداً كبيرة في إقامة السدود ومشاريع الإرواء والمشاريع الزراعية الكبرى من أجل الحصول على خيراتها . ويمكن القول بأن أغلب المحصولات الزراعية في الاتحاد السوفييتي هي من إنتاج الأقاليم الإسلامية الخاضعة لها والتي تنتج حوالي ٣٠ مليون طن من القمح سنوياً وهو ما يعادل نصف إنتاج الاتحاد السوفييتي كما تنتج نسبة طيبة من إجمالي إنتاج بقية الحبوب وخصوصاً إنتاج الذرة التي تزرع على نطاق واسع في كل من أوزبكستان وقرغيزيا وأذربيجان وطاجكستان وتركمانستان ، وتنتج الأقاليم الإسلامية كميات كبيرة من الشمندر السكري تزيد على أربعة ملايين طن سنوياً وأشهر مناطق إنتاجه قازاخستان وقرغيزيا ويمثل إنتاج الأصواف نسبة ٧٨٪ والحرير نسبة ٩٦٪ من إجمالي الإنتاج السوفييتي ، أما القطن فيحتل الاتحاد السوفييتي المرتبة الأولى في إنتاج القطن في العالم وينتج أغلب ذلك في الأقاليم الإسلامية حيث تنتج ما يقارب ٥ ملايين طن سنوياً . أما الفواكه فتنتج على نطاق واسع في جزيرة القرم وبلاد القفقاس وجنوب تركستان وقرغيزيا وبشكيريا ويزرع الشاي على نطاق محدود في السفوح الجنوبية في جبال القفقاس ، كما يزرع الساغير الذي يستخرج منه بعض أنواع المطاط في جنوب تركستان .

أما في مجال الطاقة فتنتج الأقاليم الإسلامية نسبة عالية من الطاقة المستهلكة في الاتحاد

السوفييتي أو التي يقوم بتصديرها والملاحظ أن معظم الانتاج السوفييتي من النفط إنما يستخرج من الأراضي الإسلامية وأهم مناطق إنتاجه حوض باكو في شبه جزيرة ابشرون في جمهورية أذربيجان وحوض بنيت داغ في جمهورية تركمنستان وحوض شمالي شاشان - انغوشيا في جمهورية شاشان وحوض مايكوب عاصمة مقاطعة الأديغة شمالي القفقاس وحوض نهر أمبا شمال شرقي بحر قزوين وحوض نهر كاما في جمهورية تتاريا إضافة إلى أحواض الأورال ، وبسبب الانتاج الوفير للبتروال في هذه المناطق الإسلامية فقد احتل الاتحاد السوفييتي مركز الصدارة في إنتاج البتروال في العالم .

أما الفحم الحجري فلم يبلغ إنتاجه المستوى الذي بلغه إنتاج النفط في الأقاليم الإسلامية إلا أن إنتاجها منه ليس قليلاً حيث تكثر مناجم الفحم الغزيرة الانتاج في قازاقستان التي تنتج ما يزيد على أربعين مليون طن سنوياً وأوزبكستان التي يقدر إنتاجها بسبعة ملايين طن سنوياً وقيرغيزيا التي تقدم ستة ملايين طن سنوياً كما ينتج الفحم بكميات طيبة في كل من طاجكستان وباشكيريا المناطق الإسلامية في سيبيريا .

وتولد الطاقة الكهربائية بجانب استخدام النفط والفحم ، من مساقط المياه حيث أقيم في الأقاليم الإسلامية العديد من السدود الضخمة لهذا الغرض ولتنظيم الارواء الزراعي مثل سد منجيشار على نهر كورا في أذربيجان وسد كيرام - كوم على نهر سيحون في طاجكستان وسد نوري بك على نهر فخش في طاجكستان وسدود فرغانة في أوزبكستان ومساقط جبال تيان شان في قرغيزيا وسدود نهر الفولجا الضخمة في بلاد القفقاس وغيرها وتبلغ الطاقة الانتاجية لمحطة الكهرباء من سد منجيشار وحده ٣٦٠ مليون كيلواط في الساعة .

أما من ناحية المعادن فتعتبر الأقاليم الإسلامية السوفييتية غنية بالثروة المعدنية وتعتبر جبال الأورال من المناطق المعدنية في العالم ومن أشهر معادن الأقاليم الإسلامية الحديد في كل من قازاقستان وأوزبكستان والحدود الأذربيجانية - الأرمنية . ويستخرج الكروم من مناجم قازاقستان وباشكيريا والألمنيوم من أذربيجان وقازاقستان . هذا إضافة إلى ما تنتجه الأقاليم الإسلامية من الفوسفات واليورانيوم والرصاص والزنك التي تصل نسبة انتاجها منه إلى ٩٠٪ من إجمالي الانتاج ، ولاشك في أن توفر المواد الخام والطاقة واليد العاملة يؤدي إلى قيام نهضة صناعية تؤدي إلى ازدهار الحالة الاقتصادية ، غير أن السياسة السوفييتية

حرصت على نقل جميع الانتاج إلى الأراضي الروسية لكي تتطور مصانعهم ومنشآتهم وتحسن أوضاعهم في الوقت الذي تبقى فيه المناطق الإسلامية مهملة متخلفة . ومع ذلك فقد قامت بعض الصناعات في مراكز إنتاج الطاقة وقرب المناجم وفي المناطق التي تتجمع فيها الأيدي العاملة الرخيصة . وهذا ما يفسر قيام بعض المصانع في باكو وطاشقند وكارغندا وغروزوني وغيرها غير أن ذلك كله تحت سيطرة السلطات الحاكمة كما أن الفوائد المتحققة من ذلك للمسلمين محدودة .

لقد حصل تبدل في السياسة الصناعية السوفييتية بسبب نتائج الحرب المدمرة الناجمة عن الحرب العالمية الثانية ، إذ بدأت في إنشاء المصانع في الأراضي الإسلامية وقد أدى ذلك إلى توفير الجهد والوقت واليد العاملة غير أن ذلك كان مدعاة للتشدد في عملية نقل الروس إلى المناطق الإسلامية وإسكانهم فيها مما نجم عنه تزايد أعدادهم باستمرار على حساب سكان البلاد الأصليين من المسلمين وينبغي ألا ننسى بأن وسائل الانتاج كلها ملك للدولة وأن أرباحها والنتائج المترتبة على ازدهار الانتاج الزراعي والصناعي إنما تنصب في مصلحة السلطات المركزية .

أما من ناحية السياسة فمن المعلوم أن السياسة السوفييتية الداخلية تقوم على أساس تغليب الروس ومصالحهم على سكان المناطق الإسلامية الخاضعة للدولة وأن ذلك كان عاملاً حاسماً في تقرير الحالة السياسية في الأقاليم الإسلامية ، ذلك أن اتباع سياسة تهجير المسلمين من مناطق تركيزهم من جهة والانتقال المدروس والمنظم للمواطنين الروس وإسكانهم في المقابل في المناطق الإسلامية تحت مسمى عمال أو مزارعين قد لعب دوراً مؤثراً في الحياة السياسية للأقاليم الإسلامية إذ تناقصت نسبة أصوات المواطنين المسلمين في أوطانهم في الوقت الذي ارتفعت فيه نسبة أصوات الروس فيها وهكذا ونتيجة لهذه السياسة فقد أصبح أكثر ممثلي الأقاليم الإسلامية هم من الروس رغم غربتهم في حين لم يحقق المسلمون المهجرون في الأقاليم التي شردوا إليها شيئاً يذكر في المجالس التمثيلية بسبب غلبة الروس فيها ، وبجانب ذلك فإن اتباع سياسة نشر الحاد ومحاربة الإسلام بخاصة والالتزام بمقولة المادية الجدلية والتطبيق الاشتراكي العلمي فقد فرض على المجالس الانتخابية التي تضم غالبية عظمى من العمال والفلاحين وأكثرهم جهلة ، الالتزام بتطبيق أفكار محددة تقررها السلطة وتفرض عليهم فيصادقون عليها لأنهم

لا يحملون أفكاراً قادرة على الرد ولا يجرؤون على المخالفة ولا يملكون حرية التصرف .
إن هذه السياسة قد شجعت العديد من ضعاف النفوس وأصحاب المطامع والمصالح
من المسلمين الذين غربوا عن دينهم وجهلوه إلى الإنسيق خلف الأفكار الشيوعية
وتوجيهات القيادة السياسية الحاكمة والانضمام إلى الروس ضد مصالح بلدهم وإخوانهم
المسلمين حيث حملوا أفكار الالحاد وأصبحوا أدوات طيعة في أيدي القيادات الشيوعية من
أجل الوصول إلى مراكز أعلى مما هيأ للروس فرصة طيبة للتسلط وإحكام القبضة على
المناطق الإسلامية .

وبهذا فإن الحكومات الاتحادية في الجمهوريات والأقاليم الإسلامية مهما حاولت أن
تظهر استقلالها وتفردتها بإتخاذ القرارات الخاصة بالأقاليم التي هي على رأس السلطة فيها
فإنها لا تعدو أن تكون أدوات مسخرة لتنفيذ سياسة أسياها والالتزام بل والمزايدة على
مبادئهم والوقوف بوجه أي توجه إسلامي يمكن أن يظهر في المناطق التي يتولون أمرها .
وهكذا فالشعوب الإسلامية في الاتحاد السوفييتي تنتظر ساعة الخلاص رغم كل ما يظهر
عليهم من موافقة للفكر الشيوعي أو خضوع للسلطة السوفييتية المركزية .

ومع ذلك فإن من يتابع أحوال المسلمين هناك يلاحظ إقبالهم الشديد على الدين
وتمسكهم به . . وفي بعض المناطق الإسلامية يقبلون على تعلم اللغة العربية . . وعموماً
فإن هناك إصراراً على الحفاظ على الهوية الإسلامية . . فوادي فرغانة مثلاً فيه قوميات
مختلفة مثل الفرغانية والقوقان ومرغلان وأنديجان وأوزجان وغيرها فيهم عدد كبير من
العلماء وحفاظ كتاب الله على الرغم مما مر بهم من بلايا ورزايا كثيرة . . وقد سرنا كثيراً أن
نرى مدارس للناشئة وللصغار تعلم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف كما شاهدنا
مجموعات كبيرة في أكثر من مكان من الأطفال الصغار الذين يقبلون على حفظ القرآن
الكريم .

والمعاهد الإسلامية في طشقند تعمل بعد الظهر أيضاً وتدرس الفتيات وهذه المدارس
تزين وتعمر بواسطة أبناء المسلمين ويقومون بتدريس الفتيات بعد الظهر في هذه المساجد
ويعتنون فيها بالتربية الإسلامية .

وكم لاحظنا ونحن نتجول في هذه المساجد على وجه الخصوص ظاهرة محببة إلى النفس
وهي أن الذين يشرفون على هذه المساجد ويعمرونها هم من الشباب المسلم الحريص على

تعمير هذه المساجد والارتباط بها لأنه معتز بإسلامه وراغب في الارتباط به والالتقاء إليه .
والقضية التي تشعر بها هي أن قضية تعمير المساجد ليست قضية فردية ولا عابرة وإنما
هي قضية خلفها قوة القاهرة من الله عز وجل تحرك هؤلاء الناس وتثير همهم وعزائمهم حتى
يتدافعوا لبناء بيوت الله عز وجل .

ومن الأمور التي لاحظتها وكانت ذات خصوصية أنا والزملاء أن أحد هذه المساجد قام
ببنائه شباب كانوا يعملون في قطع الطرق واللصوصية وأعمال الاحتيال ثم تسابقوا إلى بناء
هذا المسجد وقاموا بأنفسهم بالإشراف عليه وبعد انتهاء الأموال التي كانت معهم باعوا
أدواتهم التي كانوا يستعملونها في عملية النهب والسلب وهو أمر عجيب جداً ويدلنا على أن
فضل الله سبحانه وتعالى عظيم وإن الله قد ينصر دينه بالرجل الفاجر فهؤلاء الشباب باعوا
كل ما لديهم وباعوا حتى الأدوات التي كانوا يستعملونها في الإرهاب وقاموا ببناء هذا
المسجد .

وقد سألت وحرصت على أن أعرف مَنْ مِنْ هؤلاء الشباب نستطيع أن نلقى لكي نعرف
منه القصة وبالفعل عندما قابلناهم رأيناهم شباباً عادياً ولكن هداهم الله سبحانه وتعالى
وشرح صدورهم للإسلام وهم من أبوين مسلمين وكان جدهم - وهذا ما عرفته فيما بعد
وفرحت به - عالم من علماء طاشقند ومن كبار الوعاظ فيها وقد قام بتأسيس المدارس
الإسلامية الكثيرة ولهذا لعل الله سبحانه وتعالى قد أكرمه باحياء ذكرى هذا الأب الطيب
مصداقاً لقول الله تعالى : (وكان أبوهما صالحاً) سبحانه الله كيف تحول هؤلاء إلى هذه
الهمم العظيمة وتحولوا من الشمال إلى اليمين وذلك من فضل الله سبحانه وتعالى وتوفيقه عز
وجل .

ولا شك في أن هذه القصص التي نرويها خصوصاً عن هؤلاء الشباب الذين كانوا
يعملون قطاع طريق ونحو ذلك ثم انقلبوا إلى كل هذا الفضل وإلى كل هذا الجهاد والرغبة
في تعمير بيوت الله عز وجل إنما يذكرنا بتاريخنا الإسلامي المشرف ، ويردنا إلى كل تلك
العبر أمثال قصة الفضل ابن عياض وكيف كان في بداية حياته ثم كيف تحول إلى كل ذلك
الصلاح والتقوى والورع حتى أصبح يضرب به المثل في مكة المكرمة وعبر التاريخ
الإسلامي في التقوى والورع والعلم والفضل بعد أن كان قاطع طريق .

ولا شك في أن المسلمين عموماً في المناطق التي مررنا بها يمتازون بحماس شديد ورغبة
صادقة في العودة إلى منابع الإسلام الأصلية وفي أن يأخذوا بأيدي أبنائهم نحو تربية

إسلامية جديدة ولكن المسألة ليست بهذه السهولة كما يتصور البعض بعد كل هذه السنوات التي عاشوا فيها في ظلام دامس وفي بعد عن الدين ومحاربة لكل ما ينتمي إلى الله عز وجل سبحانه وتعالى ناهيك عن أى شىء يتصل بالدين وبالدين الإسلامى خاصة .

ومما لاحظناه أن الناس لا تكتفى بالكلام عن الإسلام بل إنهم يبذلون من أوقاتهم ومن أموالهم في بسخاء من أجل رفعة هذا الدين من جديد وقد مررنا بمزارع في سمرقند وخوارزم وكثير من الولايات الأخرى وهذه المزارع يعمل فيها الشباب ويقدمون جزءاً كبيراً من إنتاجها لصالح الأعمال الإسلامية وخاصة تعمير المساجد وهم يقدمون هذا الدعم في سعادة ولا يقتصرون على إنفاق الزكاة المفروضة بل يتاجرون مع الله بصدقات التطوع .

وفي المقابل فإن هناك مجموعات وفئات كثيرة أخرى تعمل لمحاربة الإسلام وقد لاحظنا أن فئات كثيرة من هذا القبيل تعمل في المنطقة ومن ضمن تلك الفئات جماعات التنصير التي تسعى جاهدة لكسب قلوب الشباب وتقدم لهم خدمات كبيرة في وقت يحاول فيه الأهل بصورة واعية الحيلولة دون هؤلاء المنصرين والوصول إلى أبنائهم ويسعون إلى ربطهم بالعبقيرة الإسلامية وتذكيرهم بهويتهم الأساسية . . وهم يحتاجون إلى بعض الدعم في مجال التوعية الإعلامية خاصة وقد طلبوا بعض الإمكانيات التليفزيونية والوسائل التعليمية لاستعمالها في مراكزهم ، حتى يتهيأوا لجذب قلوب الشباب والاستفادة من تلك الوسائل التعليمية في ربطهم بالإسلام وبالثقافة الإسلامية وبالحياة الإسلامية . . وهم عموماً في حاجة إلى مدرسين وإلى مربين وإلى دعاة ووعاظ يتميزون بالوعى وبالقدرة على التخاطب معهم ويكونون على علم وفهم ووعى ومرونة والناس تقبل على تحفيظ القرآن ولا بد من إرسال عدد من الحفاظ إليهم على أن يتميزوا بالعلم والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وبالقدرة على التفاهم مع الناس والوصول إلى قلوبهم وعقولهم وخاصة الشباب منهم .

والمدارس القرآنية هناك في حاجة إلى تسجيلات عديدة من تلاوة القرآن الكريم حتى تصل إلى كل المساجد ومن المهم تقوية إذاعة القرآن الكريم لتصل إليهم أو بث إذاعة للقرآن الكريم من مناطق مجاورة عن طريق الإيجار أو عن طريق التعاون مع الحكومة التركية أو غيرها . . المهم أن هؤلاء الناس يتعطشون إلى سماع القرآن ، ولا بد أن نربطهم ونربط أبنائهم به ونقدم لهم المساعدات الأساسية التي تعينهم على تربية أبنائهم وثقيفهم

بالثقافة الإسلامية . . وهذه بلا شك جهود تحتاج إلى وعى وإلى مسئولية لأن هؤلاء الناس في محنة الانفتاح هذه ويخشون أن تكون على حساب دينهم ففي الوقت الذي يتم فيه هذا الإنفتاح يعانون من نقص شديد في قدراتهم وإمكاناتهم ويخشون على أبنائهم أن يتخطفهم هؤلاء المبشرون الذين يعملون ليل نهار بين ظهرانيهم ، ومن هنا تأتي أهمية التواصل معهم وربطهم كما قلنا بالحياة الإسلامية من جديد .

ولابد كذلك من أن نوجه عناية خاصة إلى موضوع التعاون الاقتصادي مع الجمهوريات الإسلامية لأنها زاخرة بالثروات والفرص الاقتصادية ذلك أن هذه الجمهوريات تتميز بأنها غنية وفيها كثير من الثروات والخيرات لدرجة أن جزءاً كبيراً من الثروة الطبيعية خاصة البترول تستخرج من جمهورية أذربيجان وهي جمهورية إسلامية كما أن في تركستان الكثير من الثروات المعدنية حيث يوجد العديد من مناجم الذهب والفضة والحديد والرصاص والفحم والكبريت وغيرها إضافة إلى المواد المشعة وبعض المعادن الأخرى كالزئبق والنحاس والقصدير والبلاتين التي توجد بكميات كبيرة في هذه المناطق . وكثير من مناطق الجمهوريات الإسلامية الأخرى غنية وفيها الكثير من الثروات المعدنية والثروات الزراعية وبعضها لديه شبه اكتفاء ذاتي . . واليوم عندما نتابع حال الجمهوريات الإسلامية وواقعها نجدها ما تزال زاخرة بالكثير من هذه الثروات ولكنها في حاجة إلى الخبرة وإلى القدرة على استخراج هذه الثروات وخاصة القدرة التمويلية وسوف نتحدث في فصل خاص إن شاء الله عن أبعاد ومجالات التعاون الاقتصادي .

ومن يتابع موضوع الجمهوريات الإسلامية ومقدار ما تأثرت به يجد أن المرحلة الأولى كانت المرحلة القاسية كما ذكرنا عندما قام لينين وستالين بحملات ظالمة وتصفيات جماعية لكل القادة والعلماء المسلمين واعتبروهم أعداء وفرضوا عليهم الهجرة الاجبارية إلى مناطق سيبيريا وشردوهم ثم نقلوا الكثير من الروس إلى أراضي المسلمين وشتتوا المسلمين وأفقروهم وقضوا على ثرواتهم . . كل هذه الإجراءات أدت إلى انخفاض القدرات الانتاجية لهذه الجمهوريات الإسلامية ، حتى أن تلك الأراضي الخصبة والمناطق الممتازة ضاعت بسبب هذا الإضطهاد والظلم .

وهكذا في ظل الحكم الشيوعي تعرضت كل المناطق الإسلامية حتى وقت قريب لألوان كثيرة من الفساد ومن الظلم ومن الإبعاد فقد جاء الحكم الشيوعي ليقضي على إنسانية

الإنسان ويسحق الشعوب جميعها في المنطقة ولكن الشعوب الإسلامية في المناطق الإسلامية كانت أكثر تأثراً بعد أن حاولت أن تقاوم فركزوا عليها الأساليب التربوية والثقافية الإلحادية وذلك في محاولة منهم لسحق الشخصية الإسلامية بشكل كامل .

وقد لاحظت وأنا أتجول في الجمهوريات الإسلامية أن هؤلاء الشباب رغم ضعف معلوماتهم عن الإسلام وبعدهم عن العقيدة لسنوات طويلة وتغريبهم فإن لديهم الفخر والاعتزاز بانتمائهم للإسلام ويعتز الفرد منهم بإسلامه ويريد أن يبقى على إسلامه ويحرص على أصالته ويعبر عنها عندما تتاح له الفرصة . . . واليوم وقد أتاحت لهم الفرصة تجدهم يتدافعون كما رأينا في كل مجال تبرز فيه هويتهم الإسلامية ويشعرهم بأصالتهم الإسلامية .

ولقد لجأ السوفييت وبصورة خاصة الجهات التربوية في الحكومة السوفيتية في السابق إلى فرض ثقافتها وفكرها على الأقليات المسلمة بهدف سلخهم من العقيدة الإسلامية وتغريبهم عنها واقتلاع جذور الإسلام من أعماقهم ولكن إرادة الله سبحانه وتعالى غالبه وفطرته أقوى من كل طاغية جبار : (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) . فبقية جذوة الدين حية في نفوس هؤلاء الشباب يستطيع أن يلمسها كل إنسان بمجرد حديثه إليهم .

وما علينا اليوم إلا أن ننمي في أنفسهم هذه الجذوة المشتعلة ونعيدهم بحكمة إلى حظيرة الإسلام من جديد ونعطيهم الفرصة لإثبات الانتفاء لهذا الدين العظيم .
لقد لاحظنا بأنفسنا كيف أن مجرد إعلان بعض ملامح الحرية في روسيا أدى إلى بناء المساجد وتعميرها من جديد واندفاع الناس إلى ذلك وبعض أولئك الشباب الذين رأيناهم يعمرون المساجد لا يعرفون الصلاة وبعضهم لم يصل من قبل ولكنه له قلب مفعم بالإسلام حرم من الحياة الإسلامية وغرب واليوم يعود للإسلام في حماس شديد ، وقد ذكروا لنا كيف أن جميع المساجد الإسلامية رغم تدهورها كانت تحرص على ربط الشباب بالإسلام وكثير من الحركات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي كانت تثير مخاوف الشيوعية مثل حركة الأخوان (المريرين) التي قامت على صراع تقليدي مع الروس وبعض الحركات الصوفية والتي كانت تتمتع بشعبية متزايدة بين المسلمين في الاتحاد السوفيتي .

وعلى الرغم من أنه لا يوجد في الاتحاد السوفيتي مدارس إسلامية بالمعنى المفهوم لدينا إلا

مدارس محدودة في منطقة بخارى وطشقند وتخرج عدداً محدوداً بالرغم من تعرض هذه المدارس للاغلاق أكثر من مرة ولكنها مدارس بسيطة والمطلوب شيء كبير جداً والحاجة ماسة إلى عمل واسع ومنتشر يأخذ بيد الشباب المسلم ويعيد له هويته وهذا ما يقوم به الرجال الذين يحتاجون إلى دعمنا ، ويحتاجون إلى تواصلنا معهم بعد أن كانت السلطات السوفييتية تعتمد طمس الثقافة الإسلامية وإبعاد المسلمين عن روح الحياة الإسلامية ولقد ساعدتها القوانين الشيوعية التي حاصرت التعليم الإسلامي ومنعت نشر كتب الإسلام وخاصة كتب التراث والأدب الإسلامي وخصصت لذلك مجموعة من الجماعات الايدلوجية الشيوعية حاربت هذه الكتب ومنعت نشرها وفي الوقت نفسه كانت تحرص على نشر الكتب التي تحارب الدين وتهزأ من الإسلام وتحاول اجتذاب أبناء المسلمين بعيداً عن حظيرة الدين الإسلامي في الاتحاد السوفييتي بالقوة والقسوة وبالظلم ومع ذلك فقد بقيت جذوة الدين حية في قلوب هؤلاء الناس (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

ثم إن الظلم الذي عانى منه هؤلاء الناس في السابق كان شديداً وقد أدى إلى تصفية الكثير من قادة المسلمين بالاتحاد السوفييتي الذين كانوا في بعض مدن الجمهورية الإسلامية مثل مدينة بخارى حيث كان يزيد عددهم عن (٤٥٠٠) عالم وإمام ومؤذن عاملتهم الدولة بقسوة وأغلقت مساجدهم وقضت على العديد منهم بل إن تمادي الشيوعية في ظلمها أدى إلى تحويل بعض هذه المساجد إلى دور للنوادي والسينما والمتاحف وأخذوا ما يزيد عن ٢٥٠٠٠ مسجد قبل الثورة وحولوها إلى مثل هذه الألوان من النشاطات المبتذلة .

واليوم يعود المسلمون إلى إعمار هذه المساجد واستردادها منهم وقد لاحظنا في أكثر من منطقة زرناها ما يدعو إلى الفخر حقيقة لأن هؤلاء الناس أعادوا مساجدهم وأعادوا بناءها وأخذوا يتوافدون عليها وكم شعرت بسعادة أنا والزملاء من أعضاء الوفد ونحن نرى أبناء المسلمين من الشباب يرتادون المساجد البسيطة التي عمروها بأنفسهم وأخذوا ينعمون بهذه الحياة الإسلامية السعيدة .

ولقد عانوا في السابق من ظلم كبير عندما كانت الشيوعية تمنع الشباب من ارتياد المساجد بل وتقسو على من تجد أنه يمارس أي نوع من النشاط الإسلامي حتى أن بعض

الشباب المسلم سجن بتهمة جمع الزكاة وأودعوا السجن لفترة طويلة وحرمت عليهم الاحتفالات بالأعياد الدينية كعيد الفطر وعيد الأضحى وكانوا يهزأون من الصيام ويصورونه على أنه عائق عن تقدم الأمة ورفيها .

بل إنهم أمعنوا في الظلم عندما حرصوا على تعيين مجموعة من الرجال السوفييت الذين عرفوا بالقسوة وبالعنف ووزعواهم على مناطق المسلمين وأبعدوا المسلمين عن مناطق القيادة داخل المناطق الإسلامية ورغم أن هذه المناطق خاصة المناطق الجنوبية كانت غنية بل من أغنى المناطق التابعة للاتحاد السوفييتي من حيث الثروات ومن حيث القدرات إلا أنها غدت تحت سيطرة الحكم الشيوعي فقيرة ضعيفة .

ثم إنه من المؤسف أننا في هذا الوقت الحرج نلاحظ أن هناك هجمات عجيبة من القاديانية والاسماعيلية اللتين تحاولان بث نشاطهما داخل مناطق المسلمين وعلى الرغم من أنهما لا تجدان لهما والحمد لله الأرضية المطلوبة ولكنها دون شك من القضايا التي يجب أن نعين الناس على تفاديها وننبههم إلى خطورتها .

ومن فضل الله أن الأشقاء في الجمهوريات الإسلامية هناك يعتزون بالمسجد ويهتمون بأن يكون متعدد الأغراض ويديرونه كمركز إسلامي لكل الأنشطة الدينية فلماذا تجد دائماً أئمة المساجد هم الذين يعلمون الناس ويأخذون بأيديهم ويحذرونهم من هذه الهجمات الشرسة وغيرها .

كما إننا من الناحية الأخرى نلاحظ أن جماعات التنصير والبعثات التنصيرية تسعى إلى نشر أنشطتها هناك وتقدم مساعدات سخية في شكل مشروعات صحية وتعليمية وإنسانية ومما يزيد هذا البلاء ما لاحظناه من أن رجال الاعلام من المسيحيين أو من اليهود ، يتعاطفون مع هذه البرامج ولكن الحمد لله قد لاحظنا حذر المسلمين هناك من هذه الهجمات التنصيرية إلا أن عونهم واجب ولا يكون العون مجرد كلام أو أحاديث بل لابد من دعم متواصل وبرامج دقيقة ودعم مادي لأن البرامج التنصيرية تدعمها الكثير من القدرات المادية التي تحاول أن تستفيد من أجهزة الإعلام وخاصة التلفزيون الذي يركز اليوم على الحياة الغربية وللأسف فإنه يأخذ بيدهم إلى مزيد من الاستهلاك الاقتصادي ويؤجج فيهم القدرات الشرائية رغم عدم وجود البضائع المطلوبة وعدم وجود الوفرة الممكنة لهذه المتطلبات التي يدعو إليها أو يروج لها ولكنه يأخذ بأيديهم نحو حياة غربية مطلقة .

وأثر التليفزيون كما نعلم أثر كبير وخطير وخصوصاً إذا لم تقابله أى جهود مركزة من المسلمين . . ثم إن هناك كثيراً من الأكاديميات والمؤسسات التي جاءت من الغرب مثل أكاديمية علوم السويد وهذه الأكاديمية جاءت في داغستان لتشجع على ترجمة الانجيل إلى اللغات المحلية وطباعته وتوزيعه وعمل طبعة خاصة ميسرة للأطفال فقط مع أن نسبة المسيحيين في داغستان ضعيفة جداً لا تذكر ومع ذلك لا يأسون ويصرون على تنفيذ مخططاتهم .

ونجد أن النصارى في الاتحاد السوفييتي يتحمسون لدينهم بطريقة ملفتة للنظر ويعملون بصورة جادة ويجدون العون من الجماعات التنصيرية في العالم وكما لاحظنا أن الكنيسة الأرثوذكسية في المانيا تبرعت للكنيسة الأرثوذكسية في الاتحاد السوفييتي بالكثير من الامكانيات والسيارات . . وأهم من ذلك تغلبت على كل الصعوبات من أجل إيصالها إلى الكنيسة الأرثوذكسية في الاتحاد السوفييتي وقام القساوسة وشمروا عن سواعدهم للعمل على إيصالها ومتابعتها بصورة جادة .

فلا بد أن يقابل هذا التحمس الشديد تحمسا من قبل المسلمين للعناية بمطالب هؤلاء الأشقاء والتجاوب معهم .

وكم كانت للمسلمين مواقف مشرفة في السابق يصمدون فيها ويثبتون حتى انهم في منطقة طاجاكستان طالبوا بأن يكون عيد الأضحى وعيد الفطر المبارك إجازة ورفضت السلطات وطالبوا أن يكون يوم الجمعة إجازة ورفضت مطالبهم وطالبوا بإعفاء مباني المساجد من الضرائب فرفض ذلك أيضاً ثم رفضوا أن يسمحوا للمسلمين بأن يذبحوا في مناطقهم بالطريقة الإسلامية وأجبروهم على تربية الخنزير وهنا وقف جميع المسلمين موقفاً صلباً ورفضوا وخرجوا في مظاهرات يطلبون فيها البراءة من الحكام الذين كانوا يدفعونهم إلى هذه الأمور دفعاً وأمام صلابتهم وشدتهم اضطروا أن يقبلوا ببعض مطالبهم ووافقوا على مسألة الأعياد ومسألة الذبح واعفاءات جزئية من ضرائب مباني المساجد ونحو ذلك ورفضوا بعض الطلبات الأخرى واستمر الصراع وهذا يوضح لنا أن المسلمين عندما خرجوا في تلك المظاهرات أعلنوا البراءة من الحكام الذين يقومون بهذه الاجراءات خصوصاً أن بعضهم من أصل مسلم فأعلنوا أن هؤلاء خرجوا من الدين الإسلامي ولا يجوز الزواج منهم ولا يجوز التعامل معهم بأي شكل من الأشكال وعندها خضعت

الجهات السوفييتية لبعض مطالبهم كما قلنا ولكنها في الوقت نفسه أخذت تشجعهم على الانفصال إلى مجموعات صغيرة وإلى قوميات مستقلة حتى تفتتهم وتمزقهم وتذهب ريحهم فشحعوا الأوزبك على الانفصال عن التتار وهكذا .

ومن الناحية الأخرى يمكن أن نلاحظ بأن هؤلاء المسلمين في شتى بقاع الاتحاد السوفييتي في الجمهوريات الإسلامية المختلفة يقفون اليوم باعزاز وفخر وهم يستمعون للأذان من جديد وفي منطقة مثل قازان مثلاً عندما صعد المؤذن ليؤذن في عاصمة التتار تتارستان وقف المؤذن فوق المنارة ليرفع الصوت بعد ظلم استمر أكثر من سبعين عاماً ففرح الناس وكبروا وهللوا بعد ظلم إيقان الرهيب وقتل العلماء وتشريد المسلمين والفتك بزعماء المسلمين هناك ، وكذلك في منطقة القرم التي شهدت تحويل المساجد إلى مسارح وكاباريهات للرقص حيث ترقص الراقصات في صحن المسجد وأروقتة وقد وضعوا الحمامات في وسط المحراب لإهانة المسجد . . كل ذلك الظلم والجبروت زال والحمد لله وعادت الحياة الطبيعية إلى هؤلاء الناس كما ذكرت ولذلك فهم في حاجة إلى التواصل من جديد وإلى الوقوف معهم ، وإلى إعانتهم بطريقة واعية ومسئولة وتحسس أحوالهم وبحث الصالح من الخطي وكيفية التدرج للوصول إلى الهدف الأسمى كل هذه الأمور تستدعي تكاتف الجهود وتعاونها وإدراك أن هناك من المسلمين من يجب أن نتواصل معهم ونعينهم ونأخذ بأيديهم ولا شك في أن الدور الذي تقوم به اليوم كثير من الجمعيات الإسلامية ورابطة العالم الإسلامي وهيئة الإغاثة وغيرها هو دور مشكور فهي توضح وتيسر للناس عملية الوصول إلى تلك المناطق وتطلعهم على ما هو مطلوب .

أما من الناحية الاقتصادية والاستثمارية فإن جولتنا أوضحت الكثير من مجالات الإستثمار الاقتصادي التي يمكن أن يستفيد منها المستثمرون خصوصاً تلك المناطق الغنية بالثروات التي يمكن الاستفادة منها والمناطق الصالحة كمصائف ممتازة . . وكل هذا يدعونا إلى التعاون معهم وإلى التواصل معهم والأخذ بأيديهم لاعادة تعمير جمهورياتهم وبلادهم في هذه المناطق .

وكل من لقيناه منهم يقول لنا نحن في حاجة اليكم مدوا أيديكم لنا نحن لا نطلب إحساناً ولكن نطلب تعاوناً يأخذ بأيدينا حتى نخرج إلى الضوء ونذلل الصعاب .

وكم أسعدني في بعض المناطق مثل داغستان وطشقند وأذربيجان ووادي فرغانة وغيرها

عندما قابلنا كبار المسئولين هناك فأخذوا بأيدينا ورأينا كيف أن المساجد القديمة فتحت وأصلحت والمراكز التعليمية افتتحت وازداد عدد المسلمين الذين يحجون إلى مكة المكرمة وقلوب الجميع مطمئنة ، وكان مسئولو الادارات الإسلامية في كل المناطق يعملون بكل جهد لتطوير هذه المراكز الإسلامية وتنفيذ الأعمال الإسلامية والأخذ بيد الناس لفهم الشريعة الإسلامية ولاشك أنهم كغيرهم يعانون بعد تلك السنوات الطويلة من الانقطاع والبعد ولذلك تجدهم في فرح عظيم عندما يلتقون بأية وفود إسلامية أو ضيوف يأتون للسؤال عنهم وتحسس أحوالهم كما أخبرنا الاخوة الذين زاروا وادى فرغانة .

وهم يعترفون بأن هناك الكثير من التقصير وعدم الفهم عند بعضهم لكثير من القضايا الإسلامية ولكنهم يحتاجون إلى مدرسين للأخذ بأيديهم و تثقيفهم وإرشادهم وبعضهم ذكر لنا تلك المشاكل التي يعانون منها من النواحي التشغيلية التي تتطلب التغلب عليها اقامة مشاريع انتاجية صغيرة تعود عائداتها للادارات الإسلامية التي تستطيع أن تحل بها مثل تلك المشكلات .

وبعضهم يدعون إلى التعاون معهم اقتصادياً بنشر وتوسيع قاعدة الصناعات البسيطة التي يمكن أن تدرب أبناء المسلمين من ناحية وتعينهم من ناحية أخرى على توفير دخل مناسب لأبنائهم .

لاحظنا أن الناس هنا يحتاجون إلى عناية خاصة في تبسيط أمور الإسلام لهم لأنهم كأنهم على الفطرة من جديد يحتاجون إلى الحكمة وإلى الهدوء وعدم القسوة أو العنف أو تشتيت الآراء أو كثرة المذاهب والأفكار ولا بد أن تعالج الأمور بالنسبة لهم بالحكمة والموعظة الحسنة تماماً كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما بدأ الدعوة في مكة المكرمة ثم في المدينة المنورة فلا بد أن نأخذ من تلك الدروس المحمدية ونحن نعالج هؤلاء ونتذكر قول الله عز وجل : ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ لأن هؤلاء في حاجة إلى العناية بهم ، وهم بحاجة إلى من يتحدث معهم بلغة يفهمونها وبروح يقبلون عليها ويطرق يقبلونها .

وفي كل منطقة ذهبنا إليها أحسنا بعمق الرغبة لديهم في التواصل الاقتصادي الذي يمكنهم من ان يقفوا على أقدامهم من جديد ويستفيدوا من ثرواتهم وإمكاناتهم المختلفة خصوصاً أن بعضهم في الآونة الاخيرة نجح في إنشاء علاقات اقتصادية كبيرة وحرص على

أن يستفيد من قدراته وخاماته المحلية ويدرب أبناءه على أخذ دور رائد في قضايا التنمية الاقتصادية وهؤلاء المسلمون يندفعون نحو اشقائهم في الإسلام أكثر من اندفاعهم تجاه أية جهة أخرى .

وعندما زرنا مناطق أذربيجان تحدث الرئيس عن هذه المنطقة بالذات وكيف أن الناس في منطقة أذربيجان تتراح لزيارة اشقائهم من المسلمين وذكر لنا الرئيس قصة الوفد الإسلامي الذي حضر من جيبوتي وكيف أنه بمجرد لقائه والتحدث إليه وذكر كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله وبسم الله الرحمن الرحيم تغيرت الأمور وشعروا بسعادة غامرة واذكر هنا القصة كما جاءت على لسان الرئيس حيث قال :

«أتذكر دولة إسلامية صغيرة هي دولة جيبوتي وهذه الحكاية تعود إلى ما قبل ثماني سنوات كانت موسكو تبعث دعوة وراء دعوة إليهم حتى يزوروا بلادنا - الإتحاد السوفيتي - على مستوى رسمي . . وفي نهاية المطاف وصل الوفد الجيبوتي إلى موسكو ، هذا دليل على اهتمام الإتحاد السوفيتي بإقامة العلاقات مع هذه الدولة بالرغم من أنها صغيرة ومن هناك رأساً جاء الوفد إلى باكو ومن بين أعضاء الوفد رئيس برلمان جيبوتي وهم طبعاً من العرب المسلمين بالرغم من أنهم يتكلمون كثيراً بالفرنسية وقد كلفت بمرافقة هذا الوفد في باكو خلال وجودهم هنا لمدة يومين وكان معهم شخص آخر مراقب ولكن من موسكو وكنت حين ذاك وزيراً في الحكومة الأذربيجانية وبصراحة لا توجد لدي أي معلومات عن هذه الدولة والذين جاءوا من موسكو قالوا لي هذه مهمة كبيرة وذات مسئولية كبيرة وعليك أن تفعل اي شيء حتى يبقوا مرتاحين ويفتحوا صدورهم لحوار صريح وكلهم جاءوا للإتحاد السوفيتي لأول مرة ومثل ما جاء سيادتكم مع السيد الوزير من المطار بسيارة واحدة نحن وصلنا بنفس الطريقة في سيارة واحدة معهم وبعد وضع المائدة أحضروا لنا الاطعمة وجلسنا وقلت لهم بسم الله ولا حظت تغييراً عظيماً في وجوههم ونظر إلى بعضهم في دهشة ثم جاء أحد من العاملين في المطعم واحضر في يده نبيذاً وهم أن يسكب النبيذ في كأس رئيس الوفد وفي هذه اللحظة قلت استغفر الله إبتعد وبعد ذلك بدأ بيننا تفاهم كامل والذين جاءوا من موسكو كانوا يسألون ماذا فعلت لهم حتى أصبحوا معك بهذا الشكل ، فأجبتهم أن بيننا عبارة سحرية وهي التي نتحد بواسطتها وبعد ذلك تقدمت إليهم بنصيحة

قلت لهم ألا تبعثوا إلى البلدان الإسلامية سفراء من الروس المسيحيين بل من المفروض أن تبعثوهم من بيننا من المسلمين الأذربيجان .

وكلما تجولنا في مناطق الجمهوريات المسلمة لاحظنا كما ذكرت في بداية حديثي أن موضوع المسجد له اهتمام خاص جدا حتى أنك تلاحظ أن الكل يساهم في بناء هذا المسجد البعض بقدراته في البناء والبعض بمهنته فهذا نجار وذاك حداد ولكن الشباب يتدافعون في فرحة لإعادة بناء المساجد .

وقد لاحظنا في منطقة من المناطق التي مررنا بها وهي منطقة دوشمبا حيث ذهبنا فيها إلى المسجد الكبير الذي أسس منذ حوالي ٥٠٠ عام تقريبا ويعرف باسم مسجد مولانا يعقوب الشرقي وهذا الرجل كان شيخاً من المشايخ المعروفين بالصلاح والتقوى والجهاد في سبيل الله كما أوضحوا لنا وقد قام بأعمال كبيرة في هذه المنطقة وساهم في تعليم الناس الدين الإسلامي وهذا المسجد بقي إلى هذا اليوم محتفظاً بكيانه ويجدد بين وقت وآخر وبجواره مدرسة ابتدائية يعلمون فيها أبناء المسلمين والكل يساهم في ترميم هذا المسجد وفي بنائه وتلاحظ ان المسألة تعاونية وأنهم يحرصون على أخذ الأطفال إلى هذا المسجد وتعليمهم الصلاة فالمسجد مركز حيوي للحياة كلها في هذه المنطقة .

وعندما دخلنا إلى مدرسة تعليم الصغار لاحظنا أن هذا المسجد منذ انشائه حتى اليوم ظل مفتوحاً وتؤدي فيه الصلاة حتى في أقسى فترات الظلم والقسوة وفي زمن ستالين مثلا حجز هذا المسجد ومنعت الصلاة فيه ولكنه بعد ذلك تم افتتاحه وعاود نشاطه من جديد . ولاحظنا أن الناس من شدة اعترازهم به حرصوا على ان يبنوا مئذنة جديدة طويلة يبلغ طولها ٤٠ متراً تقريبا ورغبوا أن تكون وساماً على صدر المدينة بعد هذا الانفتاح وأخذوا يتسابقون إلى بناء هذه المنارة وهم فرحون ويحيطون بها كل يوم ويرونها وهي تعلو وتعلو ويتطلعون إلى اليوم الذي ينطلق منها صوت الاذان إلى كل المدينة ويدرسون في هذه المدارس العلوم الإسلامية بالاضافة إلى التعليم العادي وفي المساء يحرصون على اجتذاب مجموعة من الأطفال لتعليمهم القرآن الكريم وتفسيره .

وهم فرحون جداً بالمصاحف التي أرسلت لهم كهدية من خادم الحرمين الشريفين ويضعونها في المسجد والبعض منهم لديه نسخة في منزله يحافظ عليها ويعتز بها ويحاول تعليم أبنائه القرآن . . وهناك الشيوخ الذين في المسجد يحرصون على ترتيل القرآن وتعليمه .

ومن المظاهر الكريمة الرائعة التي تشاهدها أن هؤلاء الناس عندما أرادوا أن يوسعوا قليلاً احتاجوا إلى بعض البيوت فتبرع اصحاب تلك البيوت ببيوتهم وغادروها وتركوها للمسجد واكتفوا بمبالغ بسيطة وهم في غاية الفرحة لأنهم ساهموا ببيوتهم في تعمير المسجد وتوسعته . . وهذه الروح العظيمة ظلت تغمر نفوس هؤلاء الناس وتربطهم بالإسلام وتشعرنا بأهمية دعم هؤلاء والتعاون معهم وتقديم المثل الصادق لما يقوم به هؤلاء الناس للمحافظة على دينهم وعقيدتهم واعتزازهم بدينهم وحرصهم على التضحية بكل شيء في سبيله .

وقد سألتهم سؤالاً عارضاً عندما تحدثت إليهم فقلت لهم عندما بدأوا في بناء المسجد هل استأذنتم الدولة قالوا : لا لقد اندفعنا إلى بناء المسجد ولم يعترض علينا أحد فقد انهارت ولله الحمد الشيوعية وانهار النظام الظالم وتدافعنا نحو بناء المسجد وكنا ننتظر هذه اللحظة وأنت تشاهد هذا الشعور في أكثر الجمهوريات لأن الناس لم تعد تلقي أي بال إلى قضية الاذن من الدولة أو نحو ذلك فقد كانوا ينتظرون بصيصاً من نور فتدافعوا نحو هذا النور ، يدعون الله سبحانه وتعالى أن يوفقهم للأخذ بيد أنائهم نحو مزيد من الاقتراب من الشريعة الإسلامية ومن الحياة الإسلامية ومن التربية الإسلامية .

وقد ذكر لي إمام المسجد كيف أنهم في الوقت الذي كانوا يدرسون أبناءهم في أماكن سرية كانوا يحرصون ايضاً على تغيير هذه الأماكن في كل ليلة حتى لا يحس بهم احد وهكذا ظلت المخابرات في غفلة بفضل الله عنهم واخرجوا الكثير من العلماء بهذه الطريقة حتى أن بلادهم تزخر اليوم بالعديد من العلماء الذين تخرجوا من هذه المدارس السرية تحت الارض وعمل هؤلاء العلماء على تخريج أجيال جديدة متواصلة تعمل صادقة في سبيل الله باخلاص وإيمان . . نصروا الله سبحانه وتعالى فنصرهم وأخذ بأيديهم حتى زالت الغمة عنهم اليوم وعادوا إلى تلك الحياة الإسلامية السعيدة .

ثم عندما وصلنا إلى منطقة طاشقند التي تعني مدينة الحجر هذه المدينة بها تاريخ كبير للحضارة الإسلامية في منطقة آسيا الوسطى . . ولاشك ان الإنسان منذ اللحظة الأولى التي ينزل فيها إلى مطار هذه المدينة يشعر بالروح الإسلامية وبالمظهر الإسلامي . . العائم

والملابس التقليدية لهؤلاء الناس وقد أخذوا يتسابقون لاستقبالنا في فرح وسرور وسعادة للقاء أخوة لهم قدموا من أرض الحرمين الشريفين من المملكة العربية السعودية وشعرنا بقرب هؤلاء الناس إلى نفوسنا وأحسنا بإخلاصهم وصدقهم من حديثهم مثل زملائهم الذين لقيناهم في مناطق أخرى في الجمهوريات الأخرى تماما . . ولكن هؤلاء الناس أيضاً تميزوا كما ذكرت بمظاهرهم وبملابسهم وقدروا لنا الكثير من القصص العجيبة عن الكفاح والصمود الطويل لخدمة الإسلام في هذه المنطقة والتي اكرمهم الله سبحانه وتعالى فيها بالنصر والفرج . . وعدد سكان طشقند يزيد عن ٢,٥ مليون تقريباً وحوالي ١,٥ مليون منهم من المسلمين وعدد المساجد في طاشقند الآن ٥٠ بين جامع صغير وكبير وهي آخذة في الازدياد وقد بدأوا يعمرون مساجد جديدة .

وفي منطقة أوزبكستان حوالي ٥٠٠ مسجد يصلي فيها الناس ويؤمن الناس فيها مجموعة من العلماء والائمة ويرتاد هذه المساجد الشيوخ والشباب على السواء وقد صدر اليوم قانون جديد من الحكومة الأوزبكية يتيح لهم حرية التعليم وحرية الدعوة إلى الدين ورغم حرصهم على الاستفادة من هذا القانون الجديد إلا أنهم في حاجة دون شك إلى دعمنا كما ذكرت وتعاوننا معهم وتزويدهم بالكتب المطلوبة وبالرجال الذين يساهمون معهم في عملية الدعوة .

ومن فضل الله سبحانه وتعالى انهم رغم حداثة الإنفتاح إلا أنهم استطاعوا ان يدعوا إلى الإسلام وقد دخل في الإسلام مجموعة من الروس الذين لم يكونوا يدينون بأي دين من قبل وقد اسلم بعض اليهود الروس كما اسلم بعض المسيحيين والآن هناك تدریس منتظم للأطفال ورئيس الجمهورية الأوزبكية اسمه عبدالغني عبدالكريم من سمرقند ومقره في طاشقند وهو من أهل سمرقند .

وأيضاً النائب الأول من طشقند ورئيس الوزراء مسلم أيضاً واسمه ذكر الله وهو كذلك من طاشقند وقازاخستان هي من أكبر الجمهوريات الإسلامية وعدد سكانها حوالي ٢٠ مليوناً ويوجد في مدينة طاشقند فقط ٢,٥ مليون كما ذكرنا ومساحة هذه الجمهورية ككل واسعة ونجد أن بخارى وسمرقند وطشقند تعتبر من المراكز الإسلامية الكبيرة في الاتحاد السوفييتي كما أن سكان هذه المناطق أكثرهم من المسلمين .

وعندما زرنا مسجد طقشند قابلنا في هذا المسجد قاض كان التقى به بعض الأخوان من الوفد في المرات السابقة وقد وجدوا اليوم أنه طور المسجد وطور الدراسة فيه وعني بدرجة كبيرة بأبناء المسلمين ولكنه لا يزال يطالب بمزيد من الكتب ويتطلع إلى مزيد من التواصل . وهم يرغبون في تطوير المسجد الكبير الذي يطلبون أن نساعدهم فيه ونعينهم على إكماله وعلى الرغم من وجود مساعدات تأتي من رابطة العالم الإسلامي وبعض الجهات الإسلامية الأخرى ولكنها متواضعة ونحتاج إلى تواصل أكبر ودراسة دقيقة وخطة منتظمة لمساعدة الأخوان هناك .

التنافس الدولي

في الوقت الذي تختفي فيه من الوجود أكبر الإمبراطوريات الحديثة تحاول دول أخرى إحياء إمبراطورياتها القديمة ، فقد سبقت تركيا حلفاءها الغربيين وأقدمت على الاعتراف بكل جمهوريات الكومنولث الحديث (اثنتا عشرة من الجمهوريات السوفيتية سابقا) ، وظهر إن الهدف من وراء هذا الاعتراف السريع هو احتواء الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى باعتبارها امتداداً لتركيا^(١) .

وعقد مؤتمر في اسطنبول حضره - كما قيل في أنقرة - زعماء أكثر من ٤٠ مليون متحدث باللغة التركية من كازاخستان وأذربيجان واوزبكستان وتركمانستان ويقولون في أنقرة الآن انهم أحفاد الأتراك الذين توغلوا غرباً قادمين من آسيا الوسطى منذ ألف سنة أما سليمان ديميريل رئيس الوزراء التركي فقد كان أكثر وضوحاً عندما قال : «إن عيون آسيا الوسطى تتجه نحو تركيا ، ويجب الان جعل سكان تلك المنطقة يشعرون بأن شقيقهم الأكبر قد حطم احلامهم» والشقيق الأكبر طبعاً هو تركيا ، وهناك في أنقرة من يريدون أن يستكملوا اليوم الحملة التي توقفت فوق ثلوج شرقي تركيا عام ١٩٤١ بسبب هلاك جيش أنور باشا الذي كان يريد إعادة توحيد الشعوب التركية ، وهذه الاحلام التركية ، امتدت ايضاً صوب الغرب فقد اعلن نائب رئيس جمهورية البوسنة والهرسك اليوغسلافية ان تركيا قد التزمت بدعم جمهوريته سياسياً وعسكرياً (كانت تركيا تحتل هذا الجزء من يوغسلافيا في الماضي) .

ودخلت ايران المنافسة للحصول على مواقع نفوذ سياسية في جمهوريات آسيا الوسطى ، وربما تراود طهران ايضاً احلام الامبراطورية الفارسية فقد رشح جراهام فوللر مستشار شتون الشرق الأوسط في الإدارة الأمريكية إيران لتكون أول البلدان التي ستلعب

(١) من أبحاث المجلس الإسلامي للدعوة والابغاثة ٢٤ رمضان ١٤١٢ هـ .

دوراً بارزاً في هذه المنطقة بالنظر إلى دورها التاريخي الممتد ثقافياً وسياسياً داخل آسيا الوسطى والذي اكتسبها نفوذاً واضحاً هناك ، فكان سبباً في السياسة الحذرة التي تبناها الاتحاد السوفييتي السابق تجاه إيران ، وحرص من خلالها على إبعاد إيران عن تأييد القوى الإسلامية لديه ، ودفعها إلى اتخاذ موقف محايد في هذه القوى . وإذا كان الاتحاد السوفييتي قد نجح في تحقيق ذلك في السنوات الماضية من خلال التعامل بواقعية مع إيران بعيداً عن التعالي والترهيب لعلمه بخطورة الدور الإيراني ، لكن انهيار الاتحاد السوفييتي أسقط الحساسية التي منعت إيران من استثمار نفوذها في هذه المنطقة الحيوية ، وقد تكون هي كما يؤكد قوللر القادرة على إدخال المسلمين السوفييت إلى الساحة السياسية الأوسع للشرق الأوسط ، على الرغم من أن تركيا المنافسة لإيران ينتهي إليها نسبة من مسلمي آسيا الوسطى التركمانين الذين يتحدثون بلغتها ، وأفغانستان التي ينقسم نسبة من الفاجيك من طاجيكستان والأوزبيك من أوزبكستان بينها وبين الاتحاد السوفييتي إلا أن الدور الإيراني لا يزال الأكثر تأثيراً لارتباطه ببعده اقتصادي يتمثل فيما يعرف بسياسة الخطوط الحديدية التي تبناها إيران . فقد مدت خطوطها الحديدية إلى داخل آسيا الوسطى لتعطي لجيرانها من الدول الإسلامية غير الساحلية الفرصة للوصول إلى البحار .

إن بروز ورثة عديدين للاتحاد السوفييتي القديم لهم توجهات قومية ودينية وسياسية متباينة ، جعل الأمر أكثر خطورة ، فالخلفاء الذين باغتهم تلاحق عمليات انفصال الجمهوريات عجزوا عن تصور متابعة السيناريو ، فالأمر اليقين هو أن وجود كتلة شيوعية مركبة كانت لها مركزية قوية لاتخاذ القرار هو أمر أقل إثارة لمخاوف الغرب من نشوء مجموعات مستقلة ومتفرقة من الجمهوريات ولذلك كان موضوع السيطرة على السلاح النووي السوفييتي هو أهم الموضوعات التي مثلت قلب الاهتمام الأمريكي والغربي خوفاً من عدم الاستقرار النووي وبالفعل ظهر ما يمكن تسميته بسوق « المرتزقة النوويين » وهم عملاء وخبراء الطاقة النووية ، ويقدر الغرب عدد الأشخاص الذين تنطبق عليهم صفة الخبراء النوويين من العسكريين والمدنيين في الاتحاد السوفييتي السابق بحوالي ٨٠ ألف خبير ، وقالت المصادر الغربية إن العديد من دول العالم الثالث تتسابق على هؤلاء العلماء بالإضافة إلى أن هناك محاولات إسرائيلية دؤوبة للسيطرة على إمكانية تسرب هؤلاء العلماء للدول الإسلامية والعربية خاصة وأن بعض هؤلاء العلماء كان يعلن عن نفسه من خلال

الإعلان في الصحف وإحدى الجمهوريات الإسلامية وهي كازاخستان تمتلك أسلحة استراتيجية بينما تمتلك الجمهوريات الإسلامية الأخرى أسلحة تكتيكية نووية إضافة إلى وجود خام اليورانيوم في أراضيها لذلك فإن الولايات المتحدة في صراع محموم للوصول إلى الأسلحة النووية بالجمهوريات الإسلامية قبل أن يصل إليها العالم العربي وإيران ، خاصة أن هذه الجمهوريات تمتلك ٢٠٪ من الترسانة النووية السوفيتية ، كما أن علماءها في أسوأ حالاتهم المادية وتزداد المخاوف الغربية من أن تهجر الجمهوريات الإسلامية الست الكومنولث المهزوز الذي يقوده يلتسين ثم تقوم بتنظيم صفوفها وإقامة ائتلاف مع أعداء الغرب القدامى (إشارة إلى العالم الإسلامي) خاصة أن هذه الجمهوريات تعتبر بالفعل دولاً من الدرجة الثانية داخل هذا الكومنولث وخلال قمة طهران لدول منظمة التعاون الاقتصادي اكتسب الصراع بعداً على جانب كبير من الأهمية ، عندما برزت الملامح الرئيسية لكتلة اقليمية جديدة ، وذلك بانضمام الجمهوريات الإسلامية الست إلى عضوية المنظمة . هذه المنظمة التي جمعت حين تأسست في عام ١٩١٤ الدول الثلاث تركيا وإيران وباكستان والتي كانت تمثل بامتداداتها إلى قلب الشرق الاوسط المجال الحيوي للحلف المركزي ، أو حلف بغداد في الخمسينات ذلك الحلف الذي شكلته بريطانيا برعاية الولايات المتحدة الأمريكية لمحاصرة النفوذ السوفيتي .

وطوال الأعوام الماضية لم يكن للمنظمة تأثير ملموس على المسرح العالمي ، أما الآن فقد حصلت على دماء جديدة وموارد بشرية واقتصادية ضخمة يعيش تحت مظلتها ٢٢٠ مليون مسلم على امتداد رقعة جغرافية مترامية الأطراف تمتد من حواف اوربا غرباً إلى شبه جزيرة القارة الهندية شرقاً ، ومن الخليج العربي جنوباً حتى القوقاز شمالاً ، وبذلك تكون كتلة ضاغطة على تخوم العالم الجديد ، تلخص فيما أعلنه رئيسها رافسنجاني عشية افتتاح مؤتمر القمة لتلك الدول بقوله : « ان الدول المنظمة ومعها دول الخليج الفارسي العربية يمكن أن تشكل معاً كتلة سياسية اقتصادية قوية تقدم نفسها كقوة عالمية والتناقض الرئيسي الوحيد داخل هذه الكتلة يتمثل في التعارض بين النموذجين الإيراني الديني والتركي العلماني وبطبيعة الحال فإن واشنطن تريد من أنقرة أن تسبق إيران في استقطاب هذه الجمهوريات ، ويشجع الرئيس الامريكى تركيا على الاضطلاع بدور أكبر لدى دول آسيا الوسطى الجديدة القائمة على أنقاض الاتحاد السوفيتي السابق ، لأن ذلك من مصلحة

الولايات المتحدة الأمريكية وذلك وفق ماجاء على لسان مسئول أمريكي تعليقاً على محادثات بوش وديميريل : « إن أمريكا تعتقد أن تركيا تستطيع ان تلعب دور النموذج لدول آسيا الوسطى ، لأنها دولة علمانية ديمقراطية يتركز اقتصادها على نظام السوق الحرة ، وهو ما ترغب أمريكا أن تعتمدة الجمهوريات الإسلامية الجديدة » . . والهدف الأمريكي ليس فقط أن تصبح تركيا نموذجاً تحتذيها آسيا الوسطى الإسلامية ، وإنما أن تصبح أيضاً معبراً يمر فوقه الغرب إلى هذه الجمهوريات . وهناك سبب آخر للاصرار الأمريكي على النموذج التركي هو اعتقاد أمريكا ان النموذج الآخر المطروح امام الجمهوريات الإسلامية هو اتجاه هذه الجمهوريات نحو حكم إسلامي مستقل وتعاونها وتكاتفها لتصبح قوة اقتصادية وسياسية إسلامية مؤثرة على النطاق الدولي .

الجمهوريات الإسلامية بعيون الصحافة الإسرائيلية

إذا كنا قد تكلمنا عن محاولات الإستقطاب السياسي والتنافس الدولي في هذا المجال فإن الاسرائيليين أيضاً دخلوا حلبة السباق بسرعة واكتسبوا ايضاً نفوذاً مما دفعنى إلى الحديث عن الدور الاسرائيلي على حدة ، وذلك لتبيان ابعاده الخطيرة ، وأخذت بعض تعليقات الصحف الاسرائيلية التي تناولت الدور الاسرائيلي وحركته داخل الجمهوريات الإسلامية ولن أعلق على هذا الدور بل سأترك التعليق والحكم للقارىء ، وسأكتفي بنقل هذه التعليقات التي توضح بجلاء أبعاد هذا الدور ومسار حركته .

نشرت صحيفة « معاريف » بتاريخ ٩٢/١/٢٢ خبراً تحت عنوان « شركات اتصالات اسرائيلية وقعت على عقود في كازاخستان » ويقول الخبراء سوف تنشئ شركة « كفاليم » في كازاخستان مصنعاً لإنتاج الكابلات النحاسية ، يستغل مناجم النحاس الغنية في هذه الجمهورية وسوف تقيم شركة « بيزيك » في غضون شهرين خطأً تليفونياً مباشراً إلى كازاخستان ، بينما ستدرب شركة « موتورولا اسرائيل » الكازاخستانيين على أجهزة ومعدات التليفون اللاسلكي ، هذا ماتم الإتفاق عليه أمس في إطار المحادثات التي يجريها الوفد الإسرائيلي في « ألماتا » عاصمة كازاخستان . هذا وقد وصل وزير الاتصالات « رفائيل بنحاس » إلى « ألماتا » يوم أمس على رأس وفد يضم مديري الشركات الاسرائيلية العاملة في مجال الاتصالات ، واجتمع بنحاس مع رئيس وزراء كازاخستان ، ونقل إليه رسالة من رئيس الوزراء « اسحق شامير » كما وجه بنحاس الدعوة باسم شامير إلى رئيس وزراء كازاخستان لزيارة إسرائيل .

ونشرت صحيفة « هاتسوفيه » الإسرائيلية بتاريخ ٦/٣/٩٢ مقالة تحت عنوان « وجوه إسلامية جديدة في المرأة السياسية » ويقول التعليق يعتبر انضمام الجمهوريات الإسلامية الست التابعة لدول الكومنولث الجديد ، ثم بعد ذلك جمهوريتين أو ثلاث أخريات ستفصل عن روسيا إلى أسرة الأمم . تطوراً هائلاً جداً على الساحة الدولية ، إنها المرة الأولى التي تعتبر فيها مجموعة من الدول الإسلامية لا تتمسك حتى الآن باتجاهات متطرفة ، وأن تتجه إلى التنمية ، بل والأخذ بالاتجاه الغربي تدريجياً ، وأقوى دليل على ذلك كان منذ اسابيع ، عندما طلبت كل واحدة من هذه الدول ، وحصلت بالفعل على دعوة للاشتراك في مؤتمر الأمن والتعاون الأوربي ، والأكثر من هذا أن رئيس كازاخستان ، قد اعلن هذا الاسبوع أن بلاده تتطلع إلى عضوية المجموعة الاقتصادية الاوربية حيث ترى نفسها جزءاً من هذه القارة ، واذا لم تجد امامها خياراً فانها ستبحث عن طرق اخرى ، إن النموذج المفضل أمام هذه الدول بالنسبة للتطور السياسي والاقتصادي مستقبلاً هو اذن تركيا ، ويساعدها على هذا الاتجاه أن اغلب المسلمين في الاتحاد السوفيتي سابقا والذين ينقسمون إلى ٣٧ مجموعة عرقية ولغوية هم من أصل تركي وحوالي ١٥٪ من أصل إيراني يضاف إلى هذا انه من المهم أن نذكر أن أكثر من ٩٠٪ من المسلمين هم من اتباع المذهب السني كما أن أغلب الشيعة هم معتدلون ، وأغلبهم يعيشون في أذربيجان حيث يمثلون هناك حوالي ثلاثة أرباع المواطنين إلا أن لغتهم هي التركية ، والنموذج التركي هو الأفضل لهم وليس الإيراني ، وهناك عنصر آخر في هذا الصدد وهو وجود أقليات غير إسلامية تمثل أكثر من ٢٠٪ من إجمالي السكان في الدول الست المستقلة ، ومن أهم هذه الدول من الناحية الجغرافية والسياسية والاستراتيجية كازاخستان حيث نجد ان المسلمين يمثلون أقل من ٥٠٪ بينما الباقي هم مهاجرون روس وأكرانيون ويهود أيضاً . صحيح ان وجود هذه الجماعات يخلق توترات عرقية ولكن هذه التوترات موجودة أيضاً بين الجماعات الإسلامية المختلفة ، والتي وصلت إلى حد سفك الدماء ، مثلما حدث في منطقة « فرغانة » في أوزبكستان « ١٩٨٩م ، ولكن في النهاية فان وجود اجانب يضمن على الأقل في دولة مثل كازاخستان حيث يوجد بها سلاح نووي ، ومركز أنشطة الفضاء في الاتحاد السوفيتي السابق ، يضمن الفرصة الكبيرة لحدوث التطور السياسي المرغوب .

إن الإسلام في الاتحاد السوفيتي سابقا هو في الأساس اجتماعي وعرقي وليس ديناً خالصاً

أي أنه عملياً يعني المحافظة على التقاليد الشخصية والعائلية ، وخاصة في بعض مظاهر الحياة مثل الختان والزواج والدفن ، وفي مقابل هذا لا يوجد حرص شديد على التعاليم الدينية الواضحة مثل أداء فريضة الصلاة خمس مرات في اليوم ، وصوم شهر رمضان ، واهتمام قليل بالحج إلى مكة . ويعتبر الإسلام بالنسبة لهم احد ابعاد تأكيد الهوية العرقية ، لهذا السبب تنضم الدول الإسلامية تدريجياً إلى منظمة المؤتمر الإسلامي إلى جانب الاستعداد لحصولها على عضوية الأمم المتحدة ، وهو الأمر الذي يهتمهم الآن ، ويوجد تشابه هام لما يحدث داخل الشعوب الإسلامية في اوربا ، حيث كانوا هم أيضاً يعيشون في الماضي القريب تحت النظام الشيوعي مثل البانيا ، والبوسنة والهرسك التي اجرت استفتاء هذا الاسبوع حول الاستقلال ، ففي عهد القمع الشيوعي في هاتين الدولتين ، كانت الهوية الإسلامية هي علاقة التعاون القومية العرقية في غياب اي وسيلة أخرى تعبر عن التمييز بين الشعوب هناك ، من هذا الجانب يختلف بالطبع الوضع تماماً في باكستان التي قامت هي الأخرى على أساس أيديولوجي ، وهو تقرير المصير الإسلامي ، حيث أن الإسلام هناك ذو جذور مرتبط بأداء الفرائض والاحكام الدينية عبر مئات السنين ، وحيث حكم الإسلام وسيطر لفترة طويلة في كل شبه القارة الهندية ومع ذلك توجد تنظيمات ذات قاعدة إسلامية في الاتحاد السوفييتي السابق ، اهمها حزب النهضة الإسلامي الذي تأسس عام ١٩٩٠ م ، وقد أقيم هذا الحزب في منطقة التتار لأنه في أوساط الشعوب المسلمة التي مازالت تعيش داخل إطار سياسي أجنبي يكون الوعي الإسلامي قوي جداً ، وهناك بالذات توجد ظواهر للتعصب وهذا الحزب له نشاط في كافة ارجاء الاتحاد السوفييتي سابقاً ودوره في الاساس هو المحافظة على المصالح الإسلامية . هذا وتجذب الجمهوريات الإسلامية اهتماماً كبيراً على الساحة الدولية وذلك نظراً لمواقعها الاستراتيجية في قلب آسيا وعند بوابة الشرق الاوسط ، سواء بسبب وجود ترسانات السلاح سواء النووي أو الاستراتيجي أو التكتيكي أو بسبب ثرائها الكبير حيث أن واحدة منها وهي اذربيجان لديها ثروات في مجال البترول ، وهي مع الجمهوريتين المسيحيتين في القوقاز « جروسيا وارمينيا » تعتبر مجموعة الدول غير الاوربية الهامة الأخيرة التي تخلصت من الاستعمار كما أنها تمثل عنصراً في المعسكر الإسلامي المتحرر من الاتجاهات المتطرفة ، والتي تشترك فيها تقريباً جميع الدول الإسلامية الأخرى التي تكونت خلال حروب دينية واضطهاد غير المسلمين ابتداء من ماليزيا وحتى موريتانيا .

إن صورتنا عندهم (يقصد الاسرائيليين) هي صورة دولة ذات بنية اقتصادية وتكنولوجية وعلمية متطورة ، وأيضاً دولة ذات علاقات خاصة ومميزة مع الولايات المتحدة ، وتمثل مركزاً ليهود العالم الأثرياء ، إن الأمل الملح لدى هذه الجمهوريات الإسلامية هو أن تحظى بمساعدات وارشادات من اسرائيل في مجالات الزراعة والصحة بل وفتح خطوط طيران ، لقد وقعت مذكرة إقامة علاقات دبلوماسية مع أوزبكستان ، وهناك استعداد واضح أيضاً من جانب بعض الجمهوريات لاتخاذ خطوات مماثلة ، بل تم وضع جدول زمني للتنفيذ ، ويبدو انه قد اتاحت أمامنا فرصة مميزة لكي نخترق دائرة الكراهية والحقد التي صنعتها الدول العربية ، وربما أنها ليست مصادفة أنه في الأسابيع الأخيرة تم رفع درجة علاقاتنا الدبلوماسية مع تركيا إلى مرتبة السفارة (انتهى تعليق صحيفة هاتسوفيه) .

الموقف العربي

إن التنافس الدولي ومحاولات الإستقطاب للجمهوريات الإسلامية الذي تكلمنا عن بعض جوانبه في الصفحات السابقة يدفعنا إلى الإجابة على العديد من التساؤلات :

أولاً : كيف يمكن للأطراف العربية ان تواكب مثل تلك المتغيرات في الإتحاد السوفييتي السابق على وجه الخصوص في الجمهوريات الإسلامية ؟؟

وثانيهما : كيف يمكن للأمة العربية أن تبادر بعرض اي صيغة للتفاعل مع الوقائع والأحداث الجارية ؟؟

والمسألة في واقع الأمر تفرض أولاً توصيفاً دقيقاً للأحداث ومعرفة مايمكن أن نسميه بالعوامل الحاكمة في هذا الموضوع وهي في رأيي تنقسم إلى أربعة عوامل هامة ينبغي بحثها بكل عناية ودقة :

العامل الأول :

هو البحث في طبيعة العلاقة الراهنة والمستقبلية بين المركز وبين الاطراف ، والمركز هنا هو روسيا الإتحادية والأطراف هم باقي الجمهوريات المستقلة ، والمفترض في هذا الصدد ان علاقة روسيا الاتحادية في المستقبل مع باقي الجمهوريات المستقلة لن تحكمها العوامل السابقة في ظل الإتحاد السوفييتي السابق ، فالاطراف الجديدة لن تقبل بالهيمنة الروسية على اطلاقها ، وإن ثمة مساحة من الاختلاف وأخرى من الإتفاق ستكون واردة الحدوث في المستقبل ، وهذا يثير التساؤل . . اين موقع العرب وقضاياهم من هذه المساحة المتوترة من الإختلاف ؟؟ . وعلى أي اساس ستقيم الأطراف علاقاتها ومواقعها إزاء القضايا العربية (؟؟)

فالمعروف أن الحكومات العربية كانت تركز كل تعاملاتها مع الاتحاد السوفييتي السابق في نطاق حكومته المركزية فقط ، ولم تسع على الإطلاق لمد جسور التعامل مع الشعوب السوفييتية ، وخاصة المسلمة منها .

العامل الثاني :

والذي لا يقل أهمية ، هو ضرورة التمييز بين ثلاثة أنواع من الجمهوريات المستقلة . . النوع الأول هو روسيا في حد ذاتها التي ورثت الشق الأكبر من التزامات وأعباء الكيان السوفييتي السابق ، والتي يمكن الحديث عن أسس استراتيجية ثابتة تحكم حركتها إزاء مجمل المنطقة العربية ، أما النوع الثاني وهو الجمهوريات الإسلامية ذات الاصول الأوربية ، ثم أخيرا النوع الثالث ونعني به جمهوريات وسط آسيا الإسلامية . وبالطبع فإن هذا التمييز يعني ضمناً إن لكل منها أولويات مختلفة ، وإن لكل منها تراثاً ثقافياً وحضارياً خاصاً بها ، والمهم هو معرفة كيفية توظيف مثل تلك الخصائص الموضوعية لصالح العلاقات العربية في المستقبل .

العامل الثالث :

وهو الخاص بفهمنا نحن العرب للعلاقات المطلوبة مع كل من هذه الجمهوريات المستقلة في المستقبل ، وتحديد هذا الفهم على المستويين الفردي والجماعي بات مطلوباً بقوة في ظل التطورات الجارية أكثر من أي وقت مضى .

العامل الرابع :

وهو التعرف الدقيق على رؤية تلك الأطراف المستقلة لعلاقتها معنا نحن العرب ، ووفق أي موقع من قائمة أولوياتها تضع تلك الاطراف علاقتها العربية . إن النظرة الدقيقة تكشف أن هناك عوامل يمكن أن تساعد على دفع العلاقات العربية مع تلك الجمهوريات ، وبالمثل هناك قيود تحد من ذلك . ففي جانب الفرص يمكن توظيف مجمل الشروط الدولية التي تمر بها تلك الجمهوريات توظيفاً إيجابياً لصالح علاقات عربية قوية معها ، فمن المعروف أن تلك الشروط الدولية تتحدد في الإلتزام

بالديمقراطية ، وحقوق الإنسان والالتزام بحكم القانون ، وتطوير العلاقات مع الغرب وعدم المساهمة في النشاط النووي ، وهو ما يثير في الواقع فرصاً أمام العديد من الدول العربية على سبيل المثال السعودية ومصر والكويت ودول الخليج الأخرى لنسج علاقات قوية مع تلك الجمهوريات المستقلة ، وهناك أيضاً الروابط الثقافية والدينية لاسيما في الجمهوريات الإسلامية الست التي يمكن توظيفها في الإطار نفسه ، ويبدو أن فكرة النموذج الذي يمكن أن يقدمه العديد من الدول العربية لتلك الجمهوريات يعد عاملاً إيجابياً ، والنموذج الذي نعنيه في هذا الصدد هو الدول التي تحافظ على قيمها الدينية وتحقق في نفس الوقت قدراً من الانسجام مع مجمل البيئة الدولية ، وثمة عامل ثالث يصب ايضاً في مسار الفرص وهو الخاص بتباين التطور الاجتماعي والاقتصادي بين عدد من الدول العربية والجمهوريات المستقلة ومن خلال بعض المقارنات يمكن اكتشاف أن هناك فجوة لصالح البلدان العربية ، وأن تلك الفجوة يمكن أن تمثل ميزة نسبية وإطاراً لفرص أوسع من العلاقات المتبادلة إقتصادياً وسياسياً .

أما القيود فهناك الواقع العربي الذي يشهد قدراً من الانقسام والذي لا يسمح باتخاذ أيبادرة جماعية من خلال الجامعة العربية ، فضلاً عن الدور الاسرائيلي المدعوم من الغرب والذي يحاول أن يحد من أي تغييرات أو توجهات إيجابية من قبل تلك الجمهوريات إزاء القضايا العربية الأكثر بروزاً .

ومن القيود أيضاً أن الجمهوريات المستقلة لم تتوافر لها حتى الآن المرونة الكاملة في الإطار الدولي فضلاً عن أنها الآن تواجه بتحديات بناء الدولة بكل ما يحتاجه ذلك من تركيز على الأمور الداخلية ، وفتح الابواب أمام جميع المساعدات الفنية والإقتصادية من جميع دول العالم دون استثناء ، ومن هنا فليس من المنتظر أن تتخذ تلك الجمهوريات مواقف إيجابية إزاء القضايا العربية من تلقاء نفسها ، بل يتطلب ذلك حركة سياسية دائمة نشطة من قبل الأطراف العربية .

ومن القيود أيضاً ، العوامل الجغرافية الممزوجة باعتبارات عرقية وتاريخية والتي تصب إجمالاً لصالح كل من تركيا وايران ، ويبرر ذلك دعوات ثارت من بعض الجمهوريات مثل أذربيجان ، وأوزبكستان وقرغيزيا وطاجكستان للارتباط بايران ، وفي المقابل لم تطرح

تلك الجمهوريات أو غيرها إقامة علاقات مع الدول العربية اعتماداً على الروابط التاريخية أو الدينية . وفي ظل هذا المناخ من القيود والفرص يبدو من الضروري أمام الدول العربية انتهاز استراتيجيتين مختلفتين إزاء تلك الجمهوريات . الأولى تقوم على تعظيم المزايا الثقافية والروحية ممزوجة بالمصالح الاقتصادية الملموسة ، وتقديم الخبرات والمعونات الفنية بحيث توجه تلك الاستراتيجية إلى الجمهوريات الإسلامية في وسط آسيا .

أما الثانية وهي استراتيجية تبادل المنافع التي توجه إلى تلك الجمهوريات الكبيرة نسبياً والغنية بالموارد الطبيعية ومن بينها روسيا وأوكرانيا وروسيا البيضاء وباقي الجمهوريات ذات الأصول الأوروبية ، وفي أي من الاستراتيجيتين فإن مداخل التنشيط الاقتصادي هي الأكثر قابلية على نسج علاقات عربية قوية مع تلك الجمهوريات وهي صيغة بقدر ماتحتاج من موارد تتوافر في معظمها لدى الدول العربية . تحتاج كذلك إلى سياسة نشطة وديناميكية يعززها التواصل الشعبي ونعني بالتواصل الشعبي ، تشجيع الافراد والجماعات في الدول العربية على تبادل العلاقات الثقافية والاقتصادية على نطاق واسع مع أقرانهم من الجمهوريات الإسلامية . فالعلاقات الحميمة بين الشعوب اثبتت وقائع التاريخ ثباتها أمام الأعاصير والمحن ، وأيضاً لتلافي التجربة العربية السابقة مع الاتحاد السوفييتي السابق والتي كانت تركز على علاقات القمة والحكومات دون الشعوب .

الفصل الخامس

آفاق التعاون وخطوات العمل المستقبلية

أ / الدراسة الميدانية ونتائجها .

ب / الاقتصاد السوفييتي وعلاقته بالاقتصاد الغربي .

ج / عدم فاعلية المساعدات الغربية في إصلاح الاقتصاد السوفييتي .

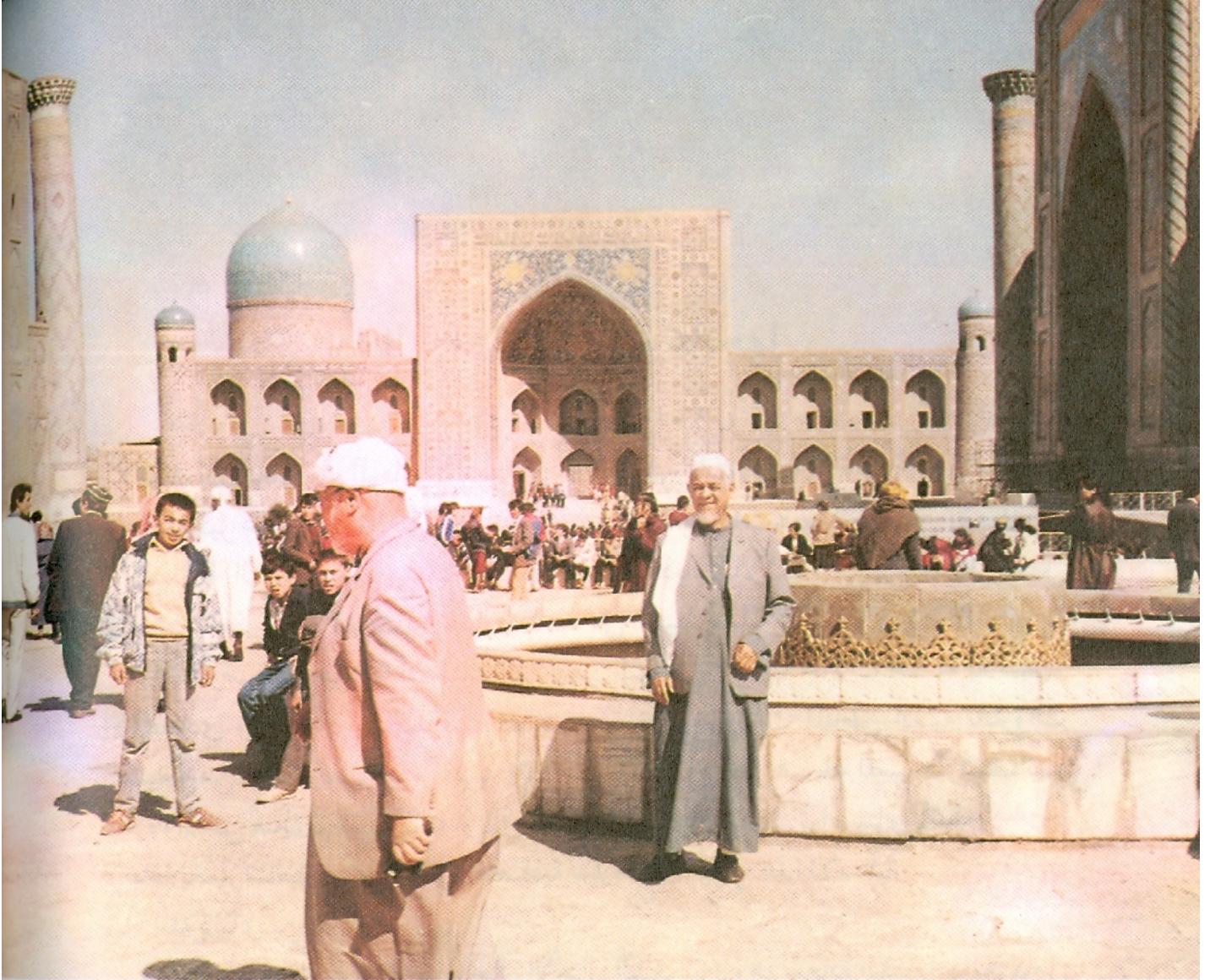
د / أبعاد ومجالات التعاون الاقتصادي الاسلامي المشترك وآفاقه المستقبلية

الدراسة الميدانية ونتائجها

لاشك أن التعاون في المجال الإقتصادي مع الجمهوريات الإسلامية من أهم الأمور التي يجب التركيز عليها . . والعناية بها . . لأن هذه الجمهوريات فيها الكثير من الإمكانيات الاقتصادية التي يمكن الإستفادة منها لدعم إقتصاديات الأثقاء هناك وتنشيط العمل التجاري معهم وفتح قنوات للاتصال تساعد على تنشيط عملية الاستثمار في هذه المناطق . ولقد أوضحت جولاتنا أن هناك الكثير من النواحي التي بها مجالات خصبة للاستثمار الإقتصادي ويمكن أن يستفيد منها المستثمرون خصوصاً تلك المناطق الغنية بالثروات الطبيعية من معادن فلزية وغير فلزية و ثروات زراعية ومناطق صالحة للسياحة كمصائف ممتازة والناس هناك ترغب في التعاون في هذا المجال . . وتتطلع إلى تواصلنا والأخذ بأيديهم لإعادة تعمير مناطقهم على أسس اقتصادية سليمة . . ولعل هذا الاستثمار سيكون فيه إن شاء الله دنيا ودين .

ولقد سر في مقام به رجل من رجال الأعمال السعوديين وهو سعادة الشيخ صالح كامل الذي بادر بالاتصال بالمسؤولين هناك وبدأ بخطوات طيبة للأخذ بأيديهم لتفهم ابعاد الاقتصاد الإسلامي من ناحية . . ولفتح مجالات جديدة للتعاون الاقتصادي . . ودعا إلى ندوة متخصصة جمع فيها مجموعة من رجال الاقتصاد والسياسة واصحاب القرار في كل من جمهورية روسيا الاتحادية وبعض الجمهوريات السوفيتية الإسلامية . . ثم دعا مجموعة من الخبراء والفقهاء في القضايا الإسلامية . وكان للندوة هدفان :

- (أ) تعريف المشاركين بالجوانب التشريعية والتنظيمية المختلفة في الإسلام فيما يتعلق بالعمل والاستثمار والشركات والملكية والتأمين . . الخ . . وذلك بتقديم شفوي وكتابي مباشر من خبراء ومختصين .
- (ب) محاولة إقناع اصحاب القرار منهم في تبني التشريعات والنظم التي تسير نصوص



● كثير من المساجد هناك تتسم بطابع معماري جميل .

وتطبيقات الشريعة وذلك في مشاريع القوانين قيد البحث في الاتحاد السوفييتي والجمهوريات الإسلامية في ظل سياسة الانفتاح وتطوير القوانين والانتقال إلى نظام اقتصادي جديد وقد انتهى معظم المشاركين إلى نتائج أساسية أهمها :

- (١) شمولية الإسلام في نظريته التشريعية في قضايا الأعمال والتجارة والاستثمار وغيرها .
- (٢) قابلية هذه المبادئ والاسس للتطبيق عموماً .
- (٣) السعي إلى إدخال العديد من النصوص والتعليقات في مشاريع القوانين المختلفة قيد البحث أو الإعداد في جمهوريات الاتحاد السوفييتي المختلفة .

وبدأت بالفعل مسيرة التشريع في الجمهوريات الإسلامية بإدخال العديد من النصوص المستمدة من وحى الشريعة الإسلامية وزادت بركة هذا اللقاء أن تنادت مجموعات مسئولة في الجمهوريات السوفييتية الإسلامية لإنشاء بنوك تعمل وفق الشريعة الإسلامية ونبذ مبدأ الربا اخذاً وعطاء .

وكانت جمهورية كازاخستان السبابة في هذا المجال فقد تم الترخيص بإنشاء أول بنك مشترك وهو في ذات الوقت يعمل وفق احكام الشريعة وذلك مناصفة بين بعض المؤسسات العامة في كازاخستان ومجموعة البركة كما تتم اتصالات مع جمهوريات إسلامية اخرى لإنشاء بنوك إسلامية وكذلك تأسيس بنك مشترك في موسكو يعمل وفق الشريعة الإسلامية ونأمل من الله أن تحمل هذه البنوك شعاع الحضارة والمعرفة الاقتصادية الإسلامية إلى هذه البلاد .

ب - الاقتصاد في الإتحاد السوفييتي وعلاقته بالإقتصاد الغربي :

انه لأمر مؤسف جدا أن يندفع الإقتصاد السوفييتي في أحضان الدول الغربية ظناً منه أن تبني نظام الإقتصاد الرأسمالي والمساعدات الغربية سوف يساهم في إنقاذ الإقتصاد السوفييتي وإصلاحه مع أن الحقيقة أن النظام الغربي لا يصلح بأي شكل من الأشكال لإنقاذ روسيا في الوقت الحاضر لأسباب رئيسية سنلقي الضوء على بعضها . . وهذا لايعني أن الإتحاد السوفييتي يجب عليه عدم التعاون مع الأنظمة الغربية لسد حاجاته العاجلة ولكنه من الصعب أن يتصور الإنسان أن النظام الرأسمالي الغربي من الممكن أن ينقذ الإقتصاد

الروسي من الانهيار . . أو يساعده على الخروج من المحنة لأن التركيبة الاقتصادية الاجتماعية والسياسية السكانية للمجتمع الروسي مختلفة عن الحياة الغربية . . إضافة إلى أن أمريكا على وجه الخصوص ليس لديها الخبرة في تنمية الدول النامية . . وكل قدرات أمريكا تكمن في أنها تقدم مساعدات للدول النامية . . ولكنها لا تستطيع ان تعينها في عمليات التنمية .

وهذا الأمر بالنسبة للاتحاد السوفيتي يجعله أمراً صعب التحقيق ويضعف فاعلية النظام الغربي الرأسمالي والمساعدات الغربية في إصلاح الاقتصاد السوفيتي .
ولعل من أهم الاسباب الرئيسية لذلك مايلي :

(١) عدم مرونة هيكل الاقتصاد السوفيتي بما يجعل آلياته وبنيته الأساسية وآليات العمل فيه قابلة للتحويل للنظام الرأسمالي وقادرة على استيعاب آلياته وعلاقاته وبذلك سوف يكلف التحويل هدراً اقتصادياً وتضحية اجتماعية وإرباكاً اقتصادياً .

(٢) رغم القدرات الاقتصادية الفائقة للغرب والتي لا تقارن بالاتحاد السوفيتي ورغم قدم ورسوخ التجربة الرأسمالية إلا أن الاقتصاد الغربي لا زال يعاني أزمات متلاحقة وعجزاً في الموازين التجارية وتقلبات في الدورات الاقتصادية من كساد وتضخم فكيف بمن يأخذ التجربة مجرداً من الدعم والحماية والتجربة .

(٣) الشعور النفسي للشعوب السوفيتية تجاه الغرب وكل ما هو غربي والذي تمت تغذيته بالإعلام والمناهج المعادية يشكل قيداً على تفاعلها مع المنهج الرأسمالي ويجعلها تأخذ فقط المفهوم السلبي للحرية وهو التبطل المقنع ، وعدم احترام السلطة .

(٤) القطاع الخاص السوفيتي لم يتشكل بعد وتنقصه روح المبادرة والابتكار وتنقصه القدرة المالية وهو يحتاج في دعمه لاستثمار أجنبي ورجال أعمال يعملون وفق مبادئ أخلاقية ومثل وقيم عليا لا مجرد انتهازيين يتحينون فرص الاستغلال وهذه هي أخلاقية الرأسمال الغربي .

(٥) تتكفل الدولة الآن باعاشة الملايين باقتسام نسبي للموارد المتاحة لكن النظرية الرأسمالية :

- لا تطعم من لا يعمل .
- لا توفر فرص العمل من أجل العمل فقط بل من أجل الربح .
- لا اعتبار للمشاريع الاجتماعية غير المربحة .

لذلك سوف تزداد البطالة والبطس ويحصل إحباط يؤدي إلى فوضى وتدمير شاملين .

(٦) الجمهوريات الغنية وفقاً للمذهب الرأسمالي لن تعطى فائضها لغيرها وسوف تتسع الهوة فيما بين الجمهوريات وتظهر أطماع الاستغلال وعدم العدالة مع الجمهوريات الأخرى بل وتظهر الطبقات في الجمهورية الواحدة .

ج - عدم فاعلية المساعدات العربية في إصلاح الاقتصاد السوفييتي :

(١) من المعلوم أن القروض الغربية لم تنهض بأي اقتصاد نام بل إنها زادت فوائد الديون على أصلها وتم ارتهان القدرات السياسية والاقتصادية للدول المدينة ولا زالت مشكلة الديون تعتبر عقبة أمام كل دولة نامية تشق طريقها نحو التنمية .

(٢) بالنسبة للنقص الواضح في أساسيات وضروريات الحياة فإن المساعدات سوف تذهب إلى النواحي الاستهلاكية فتزيد من أعباء القروض إن كانت قروضاً وتعود الشعوب على استهلاك لا توفره الظروف المحلية إن كانت هبات .

(٣) القطاع الخاص الغربي لا تحركه الدوافع السياسية للدول والتي تضحي ببعض الاموال في سبيل تطوير اوضاع الاتحاد السوفييتي ولكن سوف ينظر إلى :
- اكتمال البنية الأساسية .

- وضوح التشريعات المالية والضريبية ووضع العملة المحلية .

- قوة النقابات والحركات الاجتماعية .

- إمكانية الاستقرار السياسي والاجتماعي .

ولا أعتقد أن دراسة نتائج هذه العوامل تحفز رجال الاعمال الغربيين الذين يقدمون لأجل الارباح فقط دون رسالة للاستثمار في الاتحاد السوفييتي ولا يكون مستعداً للمخاطرة .

(٤) سوف يركز رجال الأعمال الغربيون في حالة قدومهم على الاستثمار في الجمهوريات الغنية ذات الموارد وبذلك يزيدون من حدة التناحر بين الجمهوريات وقد يصل الأمر

إلى ماوصل إليه الحال في سلقانيا وكرواتيا .

ومن هنا يتضح ان الاتحاد السوفيتي لا بد أن يدقق في اختيار النظام الاقتصادي الذي يتفق مع معطياته ، وقدراته ، وإمكاناته ، وظروفه حتى يكون التحرك في الاتجاه الأنسب .

وفي الختام لا بد أن أوجز فأحدد أن هناك قضايا أساسية يجب الالتفات إليها . . .
وخطوات لا بد من اتخاذها على الأقل في المرحلة الحاضرة وفي حدود ما هو ممكن :
وهكذا ندرك أهمية هذا الجانب من جوانب التعاون للأخذ بيد هؤلاء الأشقاء في الجمهوريات الإسلامية ، لأنهم شعب يحترم نفسه ولا يرغب في تلقي صدقات أو إعانات وإنما يرغب في تعاون اقتصادي تستقر فيه إمكاناتهم وتتاح لهم الفرصة للانفتاح على أسواق العالم الإسلامي في تعاون اقتصادي مشترك ، وهذا مايقودنا بالفعل إلى وجوب التفكير بصورة جادة في السوق الإسلامية المشتركة ، وبنك البنوك الإسلامي ، وغير ذلك من الأدوات الضرورية لتكامل التعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية .

وبعد أن استعرضنا معاً خلال هذه الرحلة مع الأشقاء من المسلمين في الاتحاد السوفيتي ، من حيث أوضاعهم وألوان التحديات التي يواجهونها والبلايا والرزايا التي أصيبوا ويصابون بها . . . وانطلاقاً من أمر الله عز وجل الذي يحثنا على أن نكون معهم كالبنيان المرصوص وأن نكون لهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر . . . وإدراكاً لحقيقة مهمة وهي أن من الواجب أن نتحرك الآن وليس غداً ، وأن نستفيد من الوقت الحاضر والظروف الراهنة وأن لانترك إخواننا هملاً ، فقد حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » وأن لانتفج عليهم ونسلمهم إلى هذا البلاء دون أن نحاول نجدتهم فقد تعلمنا أن : « المسلم اخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه » . . . و : « من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته » و : « من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة » .

وهؤلاء الأشقاء ينطبق عليهم ذلك . . . فهم في كربة كبيرة . . . وفي بلاء عظيم ولا حول ولا قوة إلا بالله . ومن الواجب أن لانسلمهم . . . وأن لانهملهم أو نغفل عنهم . . . ولا بد من عمل جاد وفعال . . . وخطوات منظمة ترتب فيها الأولويات خصوصاً أن متطلباتهم كثيرة ولعل بعض مايمكن أن يوصى به كمقدمة لهذا العمل هو :

أ - مساعدة المسلمين على تعليم ابنائهم وربطهم بمنابع الثقافة الإسلامية وتوفير الكتب

والمدرسين لهم وفي مقدمة ذلك تأتي قضية إنشاء مطبعة لتوفير الكتاب التعليمي المناسب لهم وإنهاء تلك العزلة التي يعيشها هؤلاء الناس .

ب - العناية بتعليم اللغة العربية وإعداد المعامل السمعية والبصرية كذلك التوسع في عدد المنح الدراسية خصوصاً في جامعات حكومة خادم الحرمين الشريفين والجامعات الإسلامية الأخرى والعناية بهؤلاء وعدم تركهم هملاً بل إنشاء مدارس جديدة عندهم في بلادهم وبصورة خاصة الاهتمام بتعليم الصغار .

ج - أهمية التواصل الاقتصادي مع هذه الأقليات كما ذكرنا ولا بد أن ندرك أنهم يحتاجون الآن إلى مجالات مختلفة بسبب العامل الاقتصادي وسيثبت هؤلاء ولكن بلا شك أن زيادة الضغط الاقتصادي قد تؤدي إلى مخاطر كثيرة في المستقبل وقد تؤدي إلى إخضاع الكثير من المناطق الإسلامية فلا بد أن نبادر نحن بتقديم العون لأن هؤلاء الناس لا يطلبون صدقة أو حسنة ولكن يطلبون التعاون معهم على إعادة تعمير بلادهم .

د - لا بد أن نساهم في إنشاء بعض المستشفيات هناك ونقنع أبناءنا بالقيام بالخدمة في تلك المجالات ونشئ مؤسسات ثقافية جيدة لتنافس المؤسسات الثقافية التي تنشئها الكنيسة هناك وتحاول أن تبث سمومها من خلالها بين الناس .

هـ - لا بد من العمل على إرسال دعاة يتم انتقاؤهم بصورة طيبة حتى يقفوا ضد تلك الحملات التي تحاول تشويه الإسلام وتعوق انتشاره وتسعى إلى تثبيت الفكر

الإلحادي بعد الانهيار الشيوعي الذي تم وفي المقابل هناك من الجهات الكنسية من تقوم بنشر النصرانية بين الناس وهناك فئة ثالثة كالقاديانية والبهاية التي تحاول تشجيع الأفكار والمعتقدات الهدامة وتحاول نشرها بين الناس .

و - لا بد من العناية بدور المسجد ومساعدتهم على بناء مساجدهم من جديد والاستمرار في جعل المسجد يلعب دوراً أساسياً في الحياة الإسلامية هناك .

ز - وهم في حاجة ماسة إلى مدارس الكبار لأن هؤلاء الناس كافحوا حتى حفظوا اجزاء بسيطة من القرآن وظلوا يؤدون صلاتهم وصيامهم ويحافظون على هويتهم الإسلامية ولا بد من إعانتهم على تعلم القرآن بصورة أكبر وهم يتطلعون إلى مدارس قرآنية وإلى إذاعة للقرآن الكريم قوية تصلهم وتعينهم وتربطهم بالحرمين .

ح - لا بد أن نزيل تلك المشاعر التي لديهم بأننا نجهل عنهم أي شيء ونبدأ في التواصل معهم ونصحح معلوماتنا ونعينهم على عدم الذوبان الذي يفرض عليهم ونرفع من مشاعرهم ونرفع من شعورهم ونجعلهم يحسون بالكرامة الإسلامية ولا يشعر الشباب بتلك الدونية التي يحاول أعداء الإسلام أن يفرضوها عليهم .

ط - لا بد أن ننظم شئون المسلمين وأن نعينهم على تنظيم أنفسهم وأن يتحدوا وأن يكونوا أقوياء وأن يتحلوا بالصبر وأن يدركوا بأنهم جزء لا يتجزأ من الأمة الإسلامية ويستشعروا بمسئولياتهم تجاه القيم الإسلامية وإيمانهم بأن الله سبحانه وتعالى وعد بالنصر وبأن نصر الله سبحانه وتعالى قريب متى ما ثبت المسلم وأحسن التوكل على الله .

ي - لا بد أن تشعر الحكومة الروسية باهتمامنا بهذا الموضوع وتواصلنا معهم دون تدخل في شئونهم الداخلية ولكن لا بد من استخدام القوى السياسية المختلفة لإشعار الحكومة الروسية بأن الدول الإسلامية مهتمة بموضوع الجمهوريات الإسلامية ويهمها أن يحصل هؤلاء الناس في ظل النظام الجديد على حقوقهم .

ك - لا بد أن تبذل جهودات لتقوية الأواصر الأخوية بيننا وبينهم ونزيد في حجم المنح الدراسية ونطورها ونعنى بتدريس هؤلاء في المجالات المختلفة وأن لا تقتصر منحنا الدراسية على التعليم الديني فقط ويدرسوا وينهلوا من مناهل العلم المختلفة وأهم من ذلك أن يتربوا التربية الإسلامية التي تعينهم على العودة إلى بلادهم ليكونوا قادة في الميادين المختلفة .

ل - لا بد من التركيز على موضوع التعاون والمساعدات التعاونية أكثر من مجرد التبرعات أو الصدقات أو الحسنات .

م - موضوع الاخاء مهم أن نجعلهم يستشعرون هذا الاخاء الإسلامي ومعنى الأمة الواحدة ونحذرهم من خطورة التبعية والذي نلاحظه أن كثيراً من الدول الإسلامية وخاصة هؤلاء سئموا من مجرد الدراسات والوعود ولا بد من عمل صادق بناء حتى لا تذوب هذه الأقليات وحتى لا تشعر بالدونية وحتى لا يضيع بناؤها وحتى لا تندمج نهائياً في المجتمعات تحت ظل الظروف الاقتصادية والسياسية المختلفة بل لا بد أن نربطهم بالقرآن وباللغة العربية وبالثقافة الإسلامية وبالشريعة الإسلامية ويجب أن لانفكر فقط في برامج حكومية بل إن الأمر لا يحتاج إلى جهود جبارة أكثر مما يحتاج إلى

استشعار كل فرد لمسئوليته فالمدرس يمكن أن يبذل دوراً الطيب والتاجر وكل فرد منا صغراً أم كبيراً يستطيع أن يبذل ويؤدي دوراً أساسياً في هذه العملية .
وهذه بعض التوصيات الأولية . . ولكن المسألة تحتاج إلى جهد منظم من رابطة العالم الإسلامي ، ومنظمة المؤتمر الإسلامي ، والمؤسسات الإسلامية الاقتصادية والتعليمية في العالم حتى تؤتي هذه الخطوات ثمارها وتكون النتائج إيجابية إن شاء الله .
على أني أنبه إلى خطورة التراخي والترهل . . وأن المسألة كما ذكرت يجب أن تبدأ اليوم وليس غدا . . فالناس في أمس الحاجة إلى التواصل وأعدائهم يتكالبون عليهم من كل جانب والظروف قاسية والمحنة عظيمة وكما قيل . . لو كان سهماً واحداً لاتقوته . . ولكنه سهم ثان وثالث» .
ولا حول ولا قوة إلا بالله . . والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل .

خاتمة

ما بعد جورباتشوف :

سيذكر التاريخ أن ميخائيل جورباتشوف كان آخر رئيس للاتحاد السوفييتي السابق . . وأن ذهابه كان ايذانا بانتهاء الشيوعية البغيضة في تلك البلاد . . بل في معظم البلاد التي اعتنقت هذا المذهب اللاديني وسارت في ركابه . وبدأت الجمهوريات التي كان يتألف منها الاتحاد السوفييتي السابق في التحرر والاستقلال . . والعودة إلى البحث عن أصولها العرقية والعقائدية . . وتنفس هواء الحرية الذي حرمت منه طويلاً في ظل قبضة الشيوعية . . وأجهزة البطش والارهاب . . وكانت الجمهوريات الإسلامية . . والتي يشكل المسلمون غالبية سكانها أكثر شعوب الاتحاد السوفييتي السابق ابتهاجا بزوال الشيوعية . . فقد حرم المسلمون طويلاً من ممارسة شعائرهم . . بل كانوا أكثر الشعوب في تلك البلاد تعرضاً للبطش والتنكيل بسبب تمسكهم بعقيدة الإسلام . فقد كانت الشيوعية تعتبر الإسلام والمسلمين في مقدمة اعدائها . . واستقلت الجمهوريات الإسلامية . . وعادت شعوبها إلى تنفس هواء الحرية وممارسة شعائر دينها السمع بحرية من جديد وكان بعد تغريب طويل .

واقع الحال الآن :

لقد أوضحنا في الصفحات السابقة من هذا الكتاب بالتفصيل الظروف التي يعيشها إخواننا المسلمون في الجمهوريات الإسلامية المستقلة عن الاتحاد السوفييتي السابق . ومايتعرضون له من أخطار وإبرازها للقارئ المسلم . لنصل سوياً في خاتمة هذا الكتاب إلى إعادة التذكير والتركييز على هذه الأخطار وكيفية مساعدة إخواننا في العقيدة هناك على مجابتهها .

١ - هجمات التنصير

أسرعت دوائر التنصير العالمية .. لملء الفراغ الناتج عن انهيار قبضة الشيوعية على المسلمين من الاتحاد السوفييتي .. وكعادتها بدأت في استغلال الظروف الاقتصادية القاسية التي تمر بها كل جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق بصفة عامة .. والجمهوريات الإسلامية بصفة خاصة .. ووضعت الخطط الدقيقة .. وجندت العناصر المدربة .. وبدأ الزحف المنظم .. فوزعت المطبوعات الأنيقة التي تدعو النصرانية على أنها سبيل الخلاص من كل المشاكل الاقتصادية .. وتحمل في طياتها الوعود بالمساعدات اللامحدودة .. كما استؤجرت أوقات من التلفزيونات المحلية الحكومية وكذلك الاذاعات لبث البرامج عن النصرانية والدعوة إليها .. وباشروا كذلك ببناء الكنائس والمدارس وقامت هذه المدارس بتشجيع الطلاب على الإلتحاق بها وقامت بتوزيع المساعدات العينية عليهم . كالسكر والدقيق والملابس وبالفعل بدأت هذه السياسة تؤتي بالتناجح المرجوة منها .

والتحق عدد من أبناء المسلمين بتلك المدارس .. ومن ناحية أخرى ، بدأت الكنائس بدعوة طلاب الجامعات للاستفادة من المنح الدراسية التي تقدمها هذه الكنائس للدراسة في جامعات الغرب التي تتبع هذه الكنائس .. وبالطبع تركز حملات التنصير هجماتها على الاجيال الجديدة لكسب ولائهم وخلخلة انتمائهم لعقيدة التوحيد لمعرفتهم بصعوبة ذلك مع الكبار .

٢ - الحملات الباطنية :

إن من أخطر ما يواجهه المسلمون في الاتحاد السوفييتي السابق .. هجمات القاديانية والبهائية والاسماعلية وغيرها من العقائد الفاسدة ومكمن الخطورة هنا .. أن هذه العقائد الشاذة إنما ترتدي عباءة الإسلام فالقاديانيون يدعون أنهم مسلمون وبالتالي فإن المسلمين في الجمهوريات الإسلامية أميل للاستماع إليهم باعتبارهم إخوانهم في الدين .. وهم أبعد ما يكونون عن الدين وعن الإسلام .. وأتباع هذه العقائد الفاسدة يجدون من يمولهم بسخاء . فقد وجد أعداء الإسلام في هذه العقائد الفرصة التي يجب اغتنامها لتدمير الإسلام بأيدي من يدعون الإنتماء إليه .. وهكذا لم ييخلوا على مدّهم بالدعم المادي

والمعنوي . . لأنهم يشكلون جبهة خطيرة من جبهات الهجوم على الإسلام والمسلمين وبدأ القاديانيون في بناء المساجد التابعة لهم لتشتيت المسلمين وإبعادهم عن العقيدة الحقة وجادة الصواب واستفادت كل هذه الحركات من الفراغ الديني وعدم معرفة هؤلاء الأشقاء بالدين الإسلامي بعد كل ذلك التغريب والليل الطويل .

٣ - الاستقطاب السياسي :

الجمهوريات الإسلامية التي استقل معظمها بعد انهيار الاتحاد السوفييتي السابق تمتلك قدرات وثروات لا يستهان بها فهي غنية بالموارد الطبيعية والبشرية . . وأيضا تمتلك قدرات وقوة عسكرية وفي نفس الوقت فإن هذه الجمهوريات تتطلع إلى ممارسة دورها . . واحتلال المكانة اللائقة بقدراتها بين أمم المجتمع الدولي . . ونحن نستطيع القول . . بأننا نعيش عصر الاستقطاب الدولي فكل القوى الدولية تسعى إلى ضم أعضاء جدد إلى فلكها . فهذا الانضمام وهذا الاستقطاب يضيفان على القوة العالمية المهيمنة قوة جديدة وهكذا فإن الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفييتي السابق تواجه اليوم . . ما يصح ان نطلق عليه « الهجمات السياسية » فقوى عالمية عديدة تتنافس وتسعى سعياً حثيثاً لاستقطاب هذه الجمهوريات سياسياً واقتصادياً بهدف إبعادها عن الاقتراب من العالم الإسلامي . . وقد أوضحنا ذلك بالتفصيل في الفصل الرابع من كتابي هذا .

والمدخل الاقتصادي هو المدخل الذي يعتمد عليه الجميع منهاجاً للعمل فالجمهوريات الإسلامية تواجه مشكلة اقتصادية ويستغل الجميع أيضاً ضعف قدراتهم على استيعاب متطلبات المرحلة الحاضرة وفهمهم لأسس العمل الاقتصادي وطرق التعاون الاقتصادي .

دعوة إلى الخير

كانت هذه النقاط الثلاثة في رأينا أهم الأخطار التي يتعرض لها إخواننا مسلمو الاتحاد السوفييتي في هذه المرحلة من تاريخهم العريق . . هؤلاء المسلمون الذين قدموا للإسلام والمسلمين أجل العلماء . . الذين ساهموا في إحياء علوم الدين ونشر دعوة الحق . . ان لهم في اعناقنا أمانة ، يجب أن نتكاتف جميعاً كمسلمين في أدائها إلى أصحابها . . وأداء هذه

الأمانة لا يكون إلا بالوقوف معهم في مواجهة هذه الأخطار ومساعدتهم على تجاوز هذه الفترة الحرجة . ليعودوا كما كانوا حملة مشاعل العلم ورافعي راية الإسلام في تلك الاصقاع البعيدة . فمن ناحية هجمات التنصير - لا بد من مواجهة هذه الهجمات ببرامج دقيقة تضاهي برامجهم إن لم تتفوق عليها . وان يكون الدعم المادي لهذه البرامج سخياً من المسلمين أفراداً وحكومات وأن تركز هذه البرامج على إرسال الدعاة الذين يجب أن يتم انتقاؤهم بعناية فائقة بعد أن يكونوا قد خضعوا لدورات تدريبية كافية تؤهلهم لمجابهة حملات التنصير بوعي ومعرفة بأساليب عمل وافكار تلك الحملات . وأيضاً تعريفهم بطبيعة المجتمعات الإسلامية التي يمارسون نشاطهم بين أفرادها .-

مساعدة المسلمين هناك في إعادة بناء المساجد المهتمة وبناء مساجد جديدة . والأهم من هذا تعميمها بالأئمة والمدرسين والدعاة الواعين وتزويد هذه المساجد بكتب الفقه والعقيدة باللغة العربية في الوقت الراهن ليستفيد منها من يجيد العربية منهم مع تبني ترجمة أمهات الكتب الإسلامية باللغات المحلية لهذه الجمهوريات في أسرع وقت ممكن . وإعانتهم على وضع برامج تعليمية تتفق مع واقعهم وظروفهم واستئجار فترات بث تليفزيوني واذاعي في التليفزيونات والإذاعات المحلية لتلك الجمهوريات لبث البرامج الإسلامية وإذاعة القرآن الكريم . وحبذا لو كانت هذه البرامج باللغات المحلية . فوسائل الإعلام المرئية والمسموعة لها أثر كبير وفعال في الوصول إلى أكبر عدد ممكن من مسلمي تلك البلاد .

العمل على إنشاء المدارس الدينية التي تعني بتعليم اللغة العربية وعلوم الدين . . وتشجيع الطلاب على الالتحاق بهذه المدارس بتوزيع المساعدات العينية عليهم كالمواد الغذائية والملابس وأدوات الدراسة . العمل على إنشاء المستشفيات والمستوصفات على أن يقوم بإدارتها والإشراف عليها أطباء عاملون من المسلمين .

لا بد أن تعرض الجامعات الإسلامية على أبناء المسلمين هناك المنح الدراسية لمواصلة تعليمهم العالي في تلك الجامعات والتخصص في علوم الدين المختلفة وفروع العلم الأخرى .

لا بد أن نركز على أهمية إعادة فتح الحرمين لهؤلاء للدراسة فيها على أيدي مدرسين أجلاء وربطهم بالحرمين الشريفين .

لقد لاحظنا أثناء زيارتنا للاتحاد السوفييتي إنتشار الأمية بين الكثيرين من الكبار في تلك المجتمعات الإسلامية . . وهؤلاء الكبار من أشد المحافظين على عقائدهم وانتائمهم الإسلامي . . ومحو أمية هؤلاء سيكون له أثر بالغ في توجيه الأجيال الجديدة . . لذا يجب العمل على إنشاء مدارس لمحو أمية هؤلاء الكبار .

عمل برامج ثقافية في الاحتفالات والمناسبات الإسلامية المختلفة لتوعية المسلمين هناك بأمور دينهم الكبار .

التبادل الاعلامي بين وسائل الاعلام في الدول الإسلامية وجمهوريات الاتحاد السوفييتي المسلمة .

كانت هذه بعض الخطوات المقترحة لمواجهة حملات التنصير أما العقائد الفاسدة الاخرى فنرى أن مواجهتها إنما تكون بشرح الأسس التي قامت عليها هذه الدعوات الباطلة . وبيان فساد هذه الأسس وأنها تهدف إلى هدم الدين من أساسه وأن يتم ذلك عن طريق عقد الندوات والمحاضرات وتوزيع بعض الكتيبات التي تشرح فساد هذه العقائد بالبلغات المحلية . أما الاستقطاب السياسي فتقع مسئولية مواجهته في المقام الأول على الحكومات الإسلامية . . التي يجب أن تتحرك بسرعة لمد جسور التعاون مع هذه الجمهوريات . . والمعروف أن العلاقات الاقتصادية وتبادل المنافع والمصالح أهم عوامل التقارب بين الأمم .

وهذا بالطبع لا يعفينا كأفراد ومجتمعات أن نقوم بالواجب ايضاً في تدعيم أو اصر هذا التعاون . خاصة وأن مجالات هذا التعاون واسعة وكبيرة . تسمح بحرية حركة كبيرة في مجال الاستثمار وتبادل المنافع مع الجمهوريات الإسلامية . . وأن نقرب منهم أكثر وأكثر حتى يدركوا أهدافنا وحرصنا عليهم كأخوة أعزاء في الدين .

تلك آفاق وعلامات على طريق طويل . نؤدي من خلاله الأمانة إلى أهلها . وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .

المراجع

- (١) الأقلية المسلمة في العالم أمالها وآلامها (الجزء الأول) أبحاث ووقائع المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد في الرياض في الفترة من ١٢ - ١٧ جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ .
- (٢) المرجع السابق (المجلد الثاني) .
- (٣) المرجع السابق (المجلد الثالث) .
- (٤) تقارير رابطة العالم الإسلامي عن أوضاع الأقليات المسلمة في الاتحاد السوفيتي
- (٥) المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ للدكتور محمد علي البار (الجزء الأول) .
- (٦) المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ للدكتور محمد علي البار (الجزء الثاني) .
- (٧) المسلمون في الاتحاد السوفيتي للدكتور حسام الدين السامرائي .
- (٨) رحلة ابن بطوطة - ابن بطوطة (محمد عبدالله بن محمد اللوثي الطبخي) - دار التراث بيروت ١٩٨٥ م .
- (٩) آثار الإسلام التاريخية في الاتحاد السوفيتي - صادر عن الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وكازاخستان - طشقند ١٩٨٠ م .
- (١٠) ياقوت الحموي - معجم البلدان - دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٨٣ م .
- (١١) أبحاث المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والاعانة - ٢٤ رمضان ١٤١٢ هـ .
- (١٢) بعض تعليقات الصحف الإسرائيلية في الفترة من أول يناير ١٩٩٢ م - مارس ١٩٩٢ م .

الفهرست

٧ المقدمة
١٩ الفصل الأول : دراسة ديموغرافية عن الاتحاد السوفييتي
٢٢ ● مكونات الاتحاد السوفييتي
٢٣ ١ / جمهورية روسيا الاتحادية
	- جمهورية باشكيريا
	- جمهورية تاتارستان
	- جمهورية الجوفاش
	- جمهورية مورديا
	- جمهورية ماري
	- جمهورية أورنبورغ
	- جمهورية أدمورت
	- جمهورية الداغستان
	- جمهورية كباداي بلكار
	- جمهورية قاراشاي شركس
	- جمهورية أوستينا الشمالية
	- جمهورية شاشان أنجوش
	- ولاية الأديجا
	- إقليم سيبيريا
٢٥ ٢ / جمهورية روسيا البيضاء
٢٥ ٣ / جمهورية أوكرانيا
٢٥ ٤ / جمهورية لاتفيا
٢٦ ٥ / جمهورية أستونيا
٢٦ ٦ / جمهورية مولداثيا
٢٦ ٧ - جمهورية لتوانيا

٢٦	٨ / جمهورية أرمينيا
٢٦	٩ / جمهورية جورجيا
٢٦	١٠ / جمهورية أذربيجان
٢٨	١١ / جمهورية أوزبكستان
٢٨	١٢ / جمهورية طاجيكستان
٢٨	١٣ / جمهورية قرغستان
٢٨	١٤ / جمهورية تركمانستان
٢٨	١٥ / جمهورية كازاخستان

٤٧ الفصل الثاني : دراسة تاريخية

٤٩	١ / دخول الإسلام وانتشاره في البلاد حتى نهاية العصر القيصري
٦٢	٢ / المسلمون في ظل الحكم الشيوعي حتى عصر الانفتاح
٦٥	- العقيدة
٦٥	- الصلاة
٦٦	- الصيام
٦٦	- الزكاة
٦٧	- الحج

٧٣ الفصل الثالث : نتائج التسلط الأجنبي

٧٥	١ / الإسلام وقضية القومية في الاتحاد السوفيتي
٧٥	- عهد كاترين المتسامح
٧٦	- ظهور الحركة الإسلامية القومية (التتارية)
٧٩	- الإصلاح السياسي

٢ / نكبة المسلمين في روسيا ٩٠

الفصل الرابع : التحديات التي تواجه المسلمين ٩٥

- التنافس الدولي ١١٩

- الجمهوريات الإسلامية بعيون الصحافة الإسرائيلية ١٢٣

- الموقف العربي ١٢٧

الفصل الخامس : آفاق التعاون وخطوات العمل المستقبلية ١٣١

- الدراسة الميدانية ونتائجها ١٣٣

- الاقتصاد في الاتحاد السوفيتي وعلاقته بالاقتصاد الغربي ١٣٥

- عدم فاعلية المساعدات الغربية في إصلاح الاقتصاد السوفيتي ١٣٧

خاتمة ١٤٢

- مابعد جورباتشوف ١٤٢

- واقع الحال الآن ١٤٢

- هجمات التنصير ١٤٣

- الحملات الباطنية ١٤٣

- الاستقطاب السياسي ١٤٤

- دعوة إلى الخير ١٤٤

دار
الكتاب
للطباعة والنشر
جودة

Created with

 **nitro**^{PDF} professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional